

سورة النمل

مكية كلها في قول الجميع، وهي ثلاث وتسعون آية. وقيل: أربع وتسعون آية^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَلَّذِي لَقِيَ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾ مضى الكلام في الحروف المقطعة في «البقرة»^(٢) وغيرها. و«تلك» بمعنى هذه، أي: هذه السورة آيات القرآن وآيات كتاب مبين^(٣). وذكر القرآن بلفظ المعرفة، وقال: ﴿وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾ بلفظ النكرة، وهما في معنى المعرفة؛ كما تقول: فلان رجل عاقل، وفلان الرجل العاقل. والكتاب: هو القرآن، فجمع له بين الصفتين: بأنه قرآن وأنه كتاب؛ لأنه ما يظهر بالكتابة، ويظهر بالقراءة^(٤). وقد مضى اشتقاقهما في «البقرة»^(٥). وقال في سورة الحجر [١-٢]: ﴿الرَّ تَلَكَّ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مُبِينٍ﴾ فأخرج الكتاب بلفظ المعرفة والقرآن بلفظ النكرة؛ وذلك لأن القرآن والكتاب اسمان يصلح لكل واحد منهما أن يجعل معرفة، وأن يجعل صفة.

(١) الكشاف ٣/١٣٤.

(٢) ٢٣٧-٢٤٢/١.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/١١٣.

(٤) النكت والعيون ٤/١٩٢.

(٥) ١٦١-١٦٢ و ٢٤٥.

ووصفَه بالمبين لأنه بيَّن فيه أمره ونهيَه وحلاله وحرامه ووعدَه ووعدَه^(١)، وقد تقدَّم^(٢).

قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ «هُدًى» في موضع نصبٍ على الحال من الكتاب، أي: تلك آياتُ الكتابِ هاديةٌ ومُبشرةٌ^(٣). ويجوزُ فيه الرفعُ على الابتداء، أي: هو هدى^(٤). وإن شئتَ على حذفِ حرفِ الصِّفة، أي: فيه هدى. ويجوزُ أن يكون الخبرُ «لِلْمُؤْمِنِينَ».

ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وقد مضى في أوَّل «البقرة»^(٥) بيانُ هذا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: لا يُصدِّقون بالبعث. ﴿زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ قيل: أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة^(٦). وقيل: زينًا لهم أعمالهم الحسنة فلم يعملوها. وقال الزَّجاج^(٧): جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينًا لهم ما لهم فيه. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: يترددون في أعمالهم الخبيثة، وفي ضلالتهم. عن ابن عباس. أبو العالية: يتمادون. قتادة: يلعبون. الحسن: يتحيرون؛ قال الرازي:

وَمَهْمَهُ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ أَعْمَى الْهُدَى بِالْحَائِرِينَ الْعُمَّةِ^(٨)

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو جهنم. ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ

(١) النكت والعيون ١٩٢/٤.

(٢) ٢٤١/١١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٠٧/٤.

(٤) يعني: في موضع رفع على خبر ابتداءٍ مضمرة كما في المحرر الوجيز ٢٤٨/٤.

(٥) ٢٥١/١ - ٢٧٤.

(٦) الوسيط ٣/٣٦٨.

(٧) في معاني القرآن له ١٠٨/٤.

(٨) النكت والعيون ١٩٣/٤. والرجز قائله رؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه في مجموع أشعار العرب

الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾. «في الآخرة» تبيينٌ وليس بمتعلِّقٍ بالأخسرين، فإنَّ من الناس من خسر الدنيا وربح الآخرة، وهؤلاء خسروا الآخرة بكفرهم، فهم أخسرُ كلِّ خاسِرٍ.
قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّقَى الْقُرْآنَاتِ﴾ أي: يُلقى عليك فتلقَّاه وتعلَّمه وتأخذه^(١).
﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ «لَدُنْ» بمعنى عند، إلاَّ أنَّها مبيِّنَةٌ غيرُ مُعرَّبة؛ لأنَّها لا تتمكَّن^(٢)، وفيها لغاتٌ ذُكِرَتْ في «الكهف»^(٣). وهذه الآية بساطٌ وتمهيدٌ لما يُريد أن يسوق من الأفاضل^(٤)، وما في ذلك من لطائفِ حكمته، ودقائقِ علمه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَائِغَةً مِنهَا يَخْبِرُ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُورًا أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سِتْرٍ مَائِنٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ﴾ «إِذْ» منصوبٌ بمُضمَرٍ وهو اذْكُرْ؛ كأنه قال على أثر قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّقَى الْقُرْآنَاتِ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: خُذْ يا محمدُ من آثارِ حكمته وعلمه قصةَ موسى إذ قال لأهله^(٥): ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرتها من بعد. قال الحارث بن حلزة:

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٢٢ بنحوه.

(٢) إعراب القرآن ٣/ ١٩٨.

(٣) عند تفسير الآية (٦٥).

(٤) تفسير الرازي ٢٤/ ١٨٠.

(٥) الكشاف ٣/ ١٣٧.

آتَتْ نَبَأَةً وَأَفْرَعَهَا الْقَتَدَ صُنْ عَصْرًا وَقَدْ ذَنَا الْإِمْسَاءَ^(١)

﴿سَتَائِكُمْ مِمَّنَّا بِحَبْرٍ أَوْ أَيْتِكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَمَلَكُرْ تَصْطَلُونَ﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «بِشِهَابٍ قَبَسٍ» بتنوين «شِهَابٍ». والباقون بغير تنوين على الإضافة^(٢)، أي: بشعلة نار^(٣). واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. وزعم الفراء في ترك التنوين أنه بمنزلة قولهم: ولدارُ الآخرة، ومسجد الجامع، وصلاة الأولى، يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلفت أسماؤه. قال النحاس: إضافة الشيء إلى نفسه مُحالٌ عند البصريين؛ لأنَّ معنى الإضافة في اللغة: ضمُّ شيءٍ إلى شيءٍ، فمُحالٌ أن يُضَمَّ الشيءُ إلى نفسه، وإنَّما يُضافُ الشيءُ لِيَتَبَيَّنَ به معنى الملك أو النوع، فمُحالٌ أن يَتَبَيَّنَ أنه مالِكٌ نفسه أو من نوعها. و«شِهَابٍ قَبَسٍ» إضافة النوع إلى الجنس^(٤)، كما تقول: هذا ثوبٌ خَزٌّ، وخاتمٌ حديدٌ، وشبهه. والشهابُ: كلُّ ذي نُورٍ، نحو: الكوكبُ والعُودُ الموقدُ. والقَبَسُ: اسمٌ لما يُقْتَبَسُ من جمرٍ وما أشبهه؛ فالمعنى: بشهابٍ من قبسٍ. يقال: قبست^(٥) قبساً؛ والاسم قبسٍ. كما تقول: قبضت قبضاً. والاسم القبض. ومن قرأ: «بِشِهَابٍ قَبَسٍ» جعله بدلاً منه^(٦). المهدوي: أو صفة له؛ لأن القبس يجوز أن يكون اسماً غير صفة، ويجوز أن يكون صفة؛ فأما كونه غير^(٧) صفة فلأنهم قالوا: قبسته أقبسه قبساً والقبس المقبوس؛ وإذا كان صفةً فالأحسن أن يكون نعتاً. والإضافة فيه إذا كان غير صفة أحسن. وهي إضافة النوع إلى جنسه كخاتم فضة وشبهه. ولو قرئ

(١) سلف ١٨٩/١٥.

(٢) السبعة ص ٤٧٨، والتيسير ١٦٧.

(٣) الكشاف ١٣٧/٣.

(٤) في النسخ: والجنس. والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٥) في (د): أقبست. وفي (ظ) و(م): أقبست. والمثبت من إعراب القرآن.

(٦) من قوله: وزعم الفراء... إلى هذا الموضع من إعراب القرآن ٣/١٩٨-١٩٩. وقول الفراء في معاني

القرآن له ٢٨٦/٢.

(٧) كلمة «غير» يقتضيها السياق، وهي من (م)، وليست في بقية النسخ.

بنصب قيس على البيان أو الحال لجاز^(١). النَّحَّاس^(٢): ويجوز في غير القرآن بشهاب قيساً على أنه مصدر أو بيان أو حال. «لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» أصل الطاء تاء فأبدل منها هنا طاء؛ لأنَّ الطاء مُطَبَّقةٌ والصاد مُطَبَّقةٌ فكان الجمعُ بينهما حسناً.

ومعناه: يستدفنون من البرد^(٣). يقال: اصطلى يصطلي إذا استدفأ. قال الشاعر:
النَّارُ فَاكِهَةٌ الشِّتَاءِ فَمَنْ يُرِيدُ أَكَلَ الفَوَاكِهِ شَاتِيَاً فَلِيصْطَلِ
الزَّجَّاجُ^(٤): كل أبيض ذي نور فهو شهاب. أبو عبيدة^(٥): الشهاب النار. قال أبو
النجم:

كأَما كان شهاباً واقداً أضواءً ضوءاً ثم صارَ حامداً
أحمد بن يحيى: أصلُ الشهاب: عودٌ في أحدِ طرفيه جمرةٌ والآخرُ لا نارَ فيه،
وقولُ النَّحَّاسِ فيه حسن. والشهابُ: الشعاعُ المضيءُ، ومنه الكوكب الذي يمدُّ ضوءه
في السماء. وقال الشاعر:

في كَفِّهِ صَغْدَةٌ مُثَقَّفَةٌ فيها سِنَانٌ كَشَعْلَةِ القَبَسِ^(٦)
قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ أي: فلَمَّا جاء موسى الذي ظنَّ أنه نارٌ وهي نور؛
قال^(٧) وهب بن منبّه: فلَمَّا رأى موسى النَّارَ وقفَ قريباً منها، فرأها تخرجُ من فرع
شجرة خضراء شديدة الخضرة يُقال لها: العَلِيقُ، لا تزدادُ النَّارُ إلا عِظْماً وتضرمُماً،

(١) المثبت من (ظ)، وفي بقية النسخ: كان. وينظر مشكل إعراب القرآن ١/٥٣١.

(٢) المثبت من (ظ)، وفي بقية النسخ: أحسن. والكلام الآتي في إعراب القرآن للنحاس ٣/١٩٩.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/٤٨٩.

(٤) في معاني القرآن له ٤/١٠٨.

(٥) في مجاز القرآن ٢/٩٢.

(٦) قائله أبو زيد الطائي كما في طبقات فحول الشعراء ٢/٦١٠، ولفظه فيه:

فَجَالَ فِي كَفِّهِ مُثَقَّفَةٌ تَلْمَعُ فِيهَا كَشَعْلَةُ القَبَسِ

(٧) في النسخ: قاله. والمثبت من النكت والعيون.

ولا تزدادُ الشَّجَرَةَ إلا خُضْرَةً وَحُسْنًا، فعجب منها وأهوى إليها بضغث في يده ليقبَسَ منها، فمالت إليه، فخافها، فتأخَّرَ عنها، ثم لم تزل تُطْمَعُهُ ويطمعُ فيها إلى أن وضح أمرها على أنها مأمورة لا يُدرى مَنْ أمرها، إلى أن ﴿تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١). وقد مضى هذا المعنى في «طه»^(٢). ﴿تُودِي﴾ أي: ناداه الله، كما قال: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢].

﴿أَنْ بُورِكَ﴾ قال الرَّجَّاجُ: «أَنْ» في موضع نصب، أي: بأنه. قال: ويجوزُ أن تكون في موضع رَفْعٍ جعلها اسم ما لم يُسمَّ فاعلُهُ. وحكى أبو حاتم أن في قراءة أبيّ وابن عباسٍ ومجاهدٍ: «أَنْ بُورِكْتِ النَّارُ وَمَنْ حَوْلَهَا»^(٣). قال النحَّاسُ: ومثُلُ هذا لا يوجدُ بإسنادٍ صحيح، ولو صحَّ لكان على التفسير، فتكونُ البركةُ راجعةً إلى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا الملائكةُ وموسى. وحكى الكسائيُّ عن العرب: بارَكَكَ اللهُ، وبارَكَ فيكَ^(٤). الشعلي: العربُ تقول: بارَكَكَ اللهُ، وبارَكَ فيكَ، وبارَكَ عليك، وبارَكَ لك، أربع لغات^(٥). قال الشاعر:

فَبُورِكْتِ مَوْلُوداً وَبُورِكْتِ نَاشِئاً وَبُورِكْتِ عِنْدَ الشَّيْبِ إِذْ أَنْتِ أَشْيَبُ^(٦)
الطبري: قال: «بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ» ولم يقل: بُورِكَ في مَنْ فِي النَّارِ^(٧)، على لغةٍ من يقول: بارَكَكَ اللهُ^(٨). ويُقال: بارَكَهُ اللهُ، وبارَكَ له، وبارَكَ عليه، وبارَكَ فيه

(١) من قوله: والشهاب الشعاع... إلى هذا الموضع من النكت والعيون ٤/١٩٤-١٩٥.

(٢) ١٤/١٨-١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٥٠ عن أبيّ وحده، وهي قراءة شاذة.

(٤) من قوله: أن بورك... إلى هذا الموضع من إعراب القرآن للنحاس ٣/١٩٩. وقول الزجاج في معاني القرآن له ٤/١٠٩.

(٥) وذكر الفراء في معاني القرآن ٢/٢٨٦ ثلاث لغات، يعني: لم يذكر الأخيرة.

(٦) قائله الكميت، وهو في ديوانه ٢/١٨٧ (طبعة عالم الكتب).

(٧) في النسخ: بورك على النار. والمثبت من تفسير الطبري.

(٨) تفسير الطبري ١٨/١٢.

بمعنى، أي: بُورِكَ على مَنْ في النَّارِ وهو موسى، أو على مَنْ في قُرْبِ النَّارِ، لا أَنَّهُ كان في وسطها - وقال السُّدِّي: كان في النار ملائكة - فالتبريكُ عائِدٌ إلى موسى والملائكة، أي: بُورِكَ فيكَ يا موسى وفي الملائكة الذين هم حولها. وهذا تحيةٌ من الله تعالى لموسى وَتَكْرِمَةٌ له، كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه؛ قال: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْتُمْ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(١) [هود: ٧٣]. وقولُ ثالثٍ قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جببر: قُدِّسَ مَنْ في النار، وهو الله سبحانه وتعالى، عنى به نفسه تقدَّس وتعالى^(٢). قال ابن عباس ومحمد بن كعب: النَّارُ نُورٌ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣)، نادى الله موسى وهو في النور^(٤)، وتأويل هذا: أنَّ موسى عليه السلام رأى نوراً عظيماً فظنَّ ناراً^(٥)؛ وهذا لأنَّ الله تعالى ظهرَ لموسى بآياته وكلامه من النَّارِ لا أَنَّهُ يتحيَّزُ في جهة ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]. لا أَنَّهُ يتحيَّزُ فيهما، ولكن يظهر في كلِّ فعلٍ فيعلمُ به وجودَ الفاعل. وقيل على هذا: أي: بُورِكَ مَنْ في النار سلطانُه وقدرتُه^(٦). وقيل: أي: بُورِكَ ما في النَّارِ من أمرِ الله تعالى الذي جعله علامةً.

قلتُ: ومما يدلُّ على صِحَّةِ قولِ ابن عباس ما خرَّجه مسلمٌ في «صحيحه»، وابن ماجه في «سننه» واللفظ له عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ» ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا

(١) الوسيط ٣/٣٦٨، وتفسير البغوي ٣/٤٠٦ بنحوه. وقول السدي في النكت والعيون ٤/١٩٥.

(٢) تفسير البغوي ٣/٤٠٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٢٦) و(١٦١٢٧) عن ابن عباس، و(١٦١٣٤) عن محمد بن كعب.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦١٣١) عن سعيد بن جببر.

(٥) الوسيط ٣/٣٦٩.

(٦) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٩/١٩٩.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أخرجہ البيهقي أيضاً. ولفظ مسلم عن أبي موسى قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ بخمسين كلمات، فقال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا ينامُ ولا ينبغي له أن ينام، يخفضُ القسْطَ ويرفعه، يُرْفَعُ إليه عملُ الليلِ قبلَ عملِ النَّهارِ، وعملُ النَّهارِ قبلَ عملِ الليلِ، حجابُه النور - وفي رواية أبي بكر^(١): النار - لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجْهِه ما انتهى إليه بصرُه من خَلْفِه»^(٢) قال أبو عبيد^(٣): يقال: السُّبْحَاتُ إنَّها جلالٌ وجْهِه، ومنها قيل: «سُبْحَانَ اللَّهِ» إنَّما هو تعظيمٌ له وتنزيه. وقوله: «لو كشفها» يعني: لو رفع الحجابَ عن أعينهم ولم يُبَيِّنْهم لرؤيته لاحترقوا وما استطاعوا لها^(٤).

قال ابن جُرَيْج: النَّارُ حِجَابٌ مِنَ الْحُجُبِ وَهِيَ سَبْعَةُ حُجُبٍ: حِجَابُ الْعِزَّةِ، وَحِجَابُ الْمُلْكِ، وَحِجَابُ السُّلْطَانِ، وَحِجَابُ النَّارِ، وَحِجَابُ النَّورِ، وَحِجَابُ الْغَمَامِ، وَحِجَابُ الْمَاءِ. وبالحقيقة فالمخلوق المحجوب، والله لا يحجبه شيء^(٥)، فكانتِ النَّارُ نوراً، وإنما ذكره بلفظ النار؛ لأنَّ موسى حسبه ناراً، والعربُ تَضَعُ أحدهما موضعَ الآخر.

وقال سعيد بن جُبَيْر: كانتِ النَّارُ بعينها، فأسمعه تعالى كلامه من ناحيتها، وأظهر له ربوبيته من جهتها. وهو كما رُوِيَ أَنَّهُ مكتوبٌ في التوراة: «جاء الله من سيناء، وأشرف من ساعير، واستعلى من جبال فاران». فمجيئه من سيناء بعثة موسى منها، وإشراقه من ساعير بعثة المسيح منها، واستعلاؤه من فاران بعثة محمد ﷺ، وفاران مكة^(٦). وسيأتي في «القصص» بإسماعه سبحانه كلامه من الشجرة زيادةً بيانٍ

(١) يعني ابن أبي شيبة، وهي رواية عند مسلم.

(٢) صحيح مسلم (١٧٩): (٢٩٣)، وسنن ابن ماجه (١٩٦)، والأسماء والصفات للبيهقي (٣٩١) و(٣٩٢). وأخرجه أحمد (١٩٦٣٢) بلفظ مسلم، و(١٩٥٨٧) بلفظ ابن ماجه.

(٣) في غريب الحديث ١٧٣/٣.

(٤) إكمال المعلم ٥٣٧/١ بنحوه.

(٥) واضح في النص أعلاه إثبات الحجاب لله، وأنه النور أو النار وقد تكلم ابن أبي زمنين في هذه المسألة في كتابه: أصول السنة ص ١٠٦. فليراجع.

إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تنزيهاً وتقديساً لله رب العالمين. وقد تقدّم في غير موضع، والمعنى: أي: ويقول مَنْ حولها: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ» فحذف. وقيل: إنّ موسى عليه السلام قاله حين فرغ من سماع النداء؛ استعانةً بالله تعالى وتنزيهاً له. قاله السُّدِّي. وقيل: هو من قول الله تعالى. ومعناه: وَبُورِكَ فِيمَنْ سَبَّحَ اللَّهَ تَعَالَى رَبَّ الْعَالَمِينَ. حكاه ابن شجرة^(١).

قوله تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الهاء عمادٌ وليست بكناية في قول الكوفيين^(٢). والصحيح أنّها كناية عن الأمر والشأن^(٣) «أنا الله العزيز» الغالب الذي ليس كمثله شيء «الحَكِيمُ» في أمره وفعله^(٤). وقيل: قال موسى: يا رب، مَنْ الذي نادى؟ فقال له: «إِنَّهُ» أي: إني أنا المُنادي لك، أنا الله^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ قال وهب بن مُنَبِّه: ظَنَّ موسى أَنَّ الله أمره أَنْ يَرْفُضَهَا فَرَفُضَهَا^(٦). وقيل: إنّما قال له ذلك؛ ليعلم موسى أَنَّ المُكَلِّمَ له هو الله، وَأَنَّ موسى رسوله؛ وكلُّ نبيٍّ لا بُدَّ له من آية في نفسه يعلم بها نبوّته.

وفي الآية حذف: أي: وَأَلْقِ عَصَاكَ، فألقاها من يده فصارت حَيَّةً^(٧) تهتز كأنها جانٌّ؛ وهي الحَيَّةُ الخفيفةُ الصغيرةُ الجسم^(٨). وقال الكلبي: لا صغيرة ولا كبيرة^(٩).

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٩٥/٤.

(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن ٢٨٧/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٢٥٠/٤. ونقل الطبري ١٤/١٨ عن بعض نحويي الكوفة أنهم يسمونها الهاء المجهولة.

(٤) مجمع البيان ١٩٩/١٩ بنحوه.

(٥) زاد المسير ١٥٦/٦ عن السدي.

(٦) النكت والعيون ١٩٦/٤.

(٧) المحرر الوجيز ٢٥٠/٤، وزاد المسير ١٥٦/٦.

(٨) تفسير الرازي ١٨٤/٢٤.

(٩) وقاله الفراء في معاني القراء ١٨٧/٢.

وقيل: إِنَّهَا قُلِبَتْ لَهُ أَوْلًا حَيَّةٌ صَغِيرَةٌ، فَلَمَّا أَسَسَ مِنْهَا قُلِبَتْ حَيَّةٌ كَبِيرَةٌ^(١). وقيل: انقلبت مرّةً حَيَّةٌ صَغِيرَةٌ، ومرّةً حَيَّةٌ تَسْعَى وهي الأُنثى، ومرّةً ثَعْبَانًا وهو الذَكَرُ الكَبِيرُ من الحَيَّاتِ. وقيل: المعنى: انقلبت ثَعْبَانًا تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ، لَهَا عِظْمُ الثُّعْبَانِ وَخِفَّةُ الْجَانِّ وَاهْتِرَاؤُهُ وهي حَيَّةٌ تَسْعَى^(٢). وجمع الجَانِّ جِنَّانٌ^(٣)؛ ومنه الحديث: نهى عن قتل الجِنَّانِ التي في البيوت^(٤). ﴿وَلَيْكُمُ الدُّبُرُ﴾ خائفًا على عادة البشر ﴿وَلَكُمُ الْعُقُوبُ﴾ أي: لم يرجع. قاله مجاهد^(٥). وقال قتادة: لم يلتفت^(٦). ﴿يَتَوَسَّوْنَ لَا تَخَفْ﴾ أي: من الحية وضررها. ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ﴾ وتمّ الكلام ثم استثنى استثناءً منقطعاً فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾. وقيل: إنه استثناءٌ من محذوف، والمعنى: إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ، وَإِنَّمَا يَخَافُ غَيْرُهُمْ مِمَّنْ ظَلَمَ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ. قاله الفراء.

قال النَّحَّاسُ: استثناءٌ من محذوفٍ مُحَالٌ؛ لَأَنَّهُ استثناءٌ من شيءٍ لم يُذكَرْ، ولو جازَ هذا لجازَ: إِنِّي لأضربُ القومَ إِلَّا زِيدًا، بمعنى: إِنِّي لَا أضربُ القومَ، وَإِنَّمَا أضربُ غيرَهُمَ إِلَّا زِيدًا، وهذا ضدُّ البيان، والمجيءُ بما لَا يُعْرَفُ معناه. وزعمَ الفراءُ أيضاً أَنَّ بعضَ النَّحْوِيِّينَ يجعلُ إِلَّا بمعنى الواو، أي: وَلَا مَنْ ظَلَمَ؛ قال:

وَكُلُّ أَخٍ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ^(٧)

قال النَّحَّاسُ: وَكَوْنُ «إِلَّا» بمعنى الواو لَا وَجَهَ لَهُ، وَلَا يجوزُ في شيءٍ من الكلامِ، ومعنى «إِلَّا» خلافُ الواو؛ لِأَنَّكَ إِذَا قلتَ: جاءني إخوانُكَ إِلَّا زِيدًا مِمَّا دخلَ

(١) لطائف الإشارات ٢٦/٣.

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٢٠٠/١٩.

(٣) الصحاح (جنن).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٥٤٧)، والبخاري (٣٣١٢)، ومسلم (٢٢٣٣) من حديث أبي لبابة ؓ.

(٥) أخرجه الطبري ١٥/١٨، وهو في تفسيره ٤٦٩/٢.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٧٩/٢، والطبري ١٥/١٨.

(٧) سلف ٥٤/١١.

فيه الإخوة، فلا نسبة بينهما ولا تقارب^(١). وفي الآية قول آخر: وهو أن يكون الاستثناء متصلًا، والمعنى: **إِلَّا مَنْ ظَلَمَ** من المرسلين بإتيان الصغائر التي لا يسلم منها أحد، سوى ما روي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام، وما ذكره الله تعالى في نبينا عليه الصلاة والسلام في قوله: **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾** [الفتح: ٢] ذكره المهدوي واختاره النحاس، وقال: **عَلِمَ اللَّهُ** من عصى منهم **يُسِرُّ الخيفة^(٢)**، فاستثناه فقال: **﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسْتًا بَعْدَ سُوءٍ﴾** فإنه يخاف وإن كنت قد غفرت له^(٣). **الضحَّاك**: يعني آدم وداود عليهما السلام. **الزمخشري^(٤)**: كالذي قرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف، ومن موسى عليه السلام بؤكزه القبطي.

فإن قال قائل: فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة؟ قيل له: هذه سبيل العلماء بالله عز وجل أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجليين، وهم أيضاً لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشرط التوبة شيء لم يأتوا به، فهم يخافون من المطالبة به^(٥). وقال الحسن وابن جريج: قال الله لموسى: **إِنِّي أَخَفْتُكَ لِقَتْلِكَ** النفس. قال الحسن: وكانت الأنبياء تُذنب فتعاقب^(٦). قال الثعلبي والقشيري والماوردي^(٧) وغيرهم: فالاستثناء على هذا صحيح، أي: **إِلَّا مَنْ ظَلَمَ** نفسه من النبيين والمرسلين فيما فعل من صغيرة قبل النبوة. وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه. وقد قيل: إنهم

(١) من قوله: **﴿يَتُوبُونَ لَا تَحْفَ﴾**... إلى هذا الموضع دون ذكر البيت من إعراب القرآن ٣/١٩٩-٢٠٠. وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢/٢٨٧.

(٢) قوله: **﴿يُسِرُّ الخيفة﴾** من إعراب القرآن وهو ليس في النسخ.

(٣) إعراب القرآن ٣/٢٠٠.

(٤) في الكشاف ٣/١٣٨.

(٥) إعراب القرآن ٣/٢٠٠.

(٦) هذا بتمامه من قول الحسن وحده كما أخرجه الطبري ١٦/١٨، أما قول ابن جريج فلفظه: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه.

(٧) في النكت والعيون ٤/١٩٧ بنحو ما سيرد.

بعد النبوة معصومون من الصغائر والكبائر. وقد مضى هذا في «البقرة»^(١).

قلت: والأوّل أصحّ لتنصّلهم من ذلك في القيامة كما في حديث الشفاعة، فإذا أحدث المُقرَّب حدثاً فهو وإن غُفِرَ له ذلك الحدّث فأثر ذلك الحدّث باقٍ، وما دام الأثرُ والثَّهْمَةُ قائمتاً فالخوف كائنٌ، لا خوف العقوبة ولكن خوف العظيمة، والمُتهم عند السلطان يجدُ للثَّهْمَةِ حزازةً تؤدّيه إلى أن يُكَدَّرَ عليه صفاءُ الثقة. وموسى عليه السلام قد كان منه الحدّث في ذلك الفرعوني، ثم استغفر وأقرّ بالظلم على نفسه، ثم غفّر له، ثم قال بعد المغفرة: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] ثم ابتلي من الغد بالفرعوني الآخر وأراد أن يبطش به، فصار حدثاً آخر بهذه الإرادة. وإنما ابتلي من الغد؛ لقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ وتلك كلمة اقتدارٍ من قوله: لن أفعل، فعوقب بالإرادة حين أراد أن يبطش ولم يفعل، فسُلِّطَ عليه الإسرائيلي حتى أفسى سرّه؛ لأنَّ الإسرائيلي لما رآه تشمّر للبطش ظنَّ أنه يُريدُه، فأفسى عليه ف ﴿قَالَ يَمْؤُوسُ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمِينِ﴾ [القصص: ١٩] فهرب الفرعوني وأخبر فرعون بما أفسى الإسرائيلي على موسى، وكان القتل بالأمس مكتوماً أمره لا يُدرى من قتله، فلما عَلِمَ فرعون بذلك، وجّه في طلب موسى يقتله، واشتدَّ الطلُّبُ، وأخذوا مَجَامِعَ الطُّرُقِ؛ جاء رجلٌ يسعى ف ﴿قَالَ يَمْؤُوسُ إِنَّكَ الْمَلَأُ يَا تَمْرُونُ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ الآية [القصص: ٢٠]، فخرج كما أخبر الله. فخوف موسى إنما كان من أجل هذا الحدّث، فهو وإن قرّبه ربّه وأكرمه واصطفاه بالكلام فالثَّهْمَةُ الباقية ولتّ به ولم يُعقَّب.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ يَدًا مِّنْ غَيْرِ سُوِّهِ﴾ تقدّم في «طه»^(٢) القول فيه. ﴿فِي رَيْحٍ مَّائِيَةٍ﴾ قال النَّحَّاسُ^(٣): أحسن ما قيل فيه أن المعنى: هذه الآية داخله

(١) ٤٦٠ - ٤٥٨/١

(٢) ٥٠ - ٤٩/١٤

(٣) في إعراب القرآن ٢٠١/٣

في تسع آيات. المهدوي: المعنى: «أَلْتَقِيَ عَصَاكَ» «وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ»، فهما آيتان من تسع آيات^(١). وقال القشيري: معناه: كما تقول: خرجت في عشرة نفرٍ وأنت أحدهم. أي: خرجت عاشرَ عشرة.

ف «في» بمعنى «من» لِقُرْبِهَا مِنْهَا، كما تقول: خُذْ لِي عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فِيهَا فَحِلَانٌ أَي: مِنْهَا. وقال الأصمعيُّ في قول امرئ القيس:

وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ^(٢)

في بمعنى من. وقيل: في بمعنى مع^(٣)، فالآيات عشرةٌ منها اليد، والتسع: الفلقُ والعصا والجرادُ والقملُ والطوفانُ والدَّمُ والصفادُ والسَّنينَ والطَّمسُ. وقد تقدّم بيانُ جميعه^(٤). ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ قال الفراء: في الكلام إضمارٌ لدلالة الكلام عليه، أي: إنك مبعوثٌ أو مُرسلٌ إلى فرعونَ وقومه^(٥). ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله. وقد تقدّم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: واضحةٌ بيّنة^(٦). قال الأخفش^(٧): ويجوزُ مُبْصِرَةٌ وهو مصدر، كما يُقال: الولدُ مُجَبِّنَةٌ. ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ جَرَوْا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي التَّكْذِيبِ؛ فلهذا قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي: تيقنوا أنها من عند الله وأنها ليست سحراً، ولكنهم كفروا بها وتكبروا أن يؤمنوا بموسى^(٨). وهذا يدلُّ على أنهم كانوا مُعَانِدِينَ. و«ظُلْمًا» و«عُلُوًّا» منصوبان على نعتِ

(١) وقاله النحاس في معاني القرآن ١١٨/٥ .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٧ ، وفيه: وهل يَعمَنُ من كان أحدثَ عهدِهِ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ١١٨/٥ .

(٤) عند تفسير الآية (١٠١) من سورة الإسراء .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٨٨/٤ بنحوه .

(٦) تفسير البغوي ٤٠٨/٣ ، وزاد المسير ١٥٨/٦ .

(٧) فيما نقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٢٠١/٣ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ١١١/٤ بنحوه .

مصدرٍ محذوف، أي: وجحدوا بها جُحوداً ظلماً وعلواً. والباء زائدة، أي: وجحدوها. قاله أبو عبيدة^(١). ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: آخرُ أمرِ الكافرين الطاغين، انظر ذلك بعين قلبك وتدبر فيه. الخطابُ له والمرادُ غيره^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ اللَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ أي فهما. قاله قتادة. وقيل: علماً بالدين والحكم وغيرهما كما قال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. وقيل: صنعة الكيمياء. وهو شاذ^(٣). وإنما الذي آتاهما الله النبوة والخلافة في الأرض والزبور. ﴿وَقَالَ اللَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الآية دليلٌ على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله، وأنَّ نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسَم، وأنَّ مَنْ أُوتِيَ فقد أُوتِيَ فضلاً على كثيرٍ من عباد الله المؤمنين؛ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وقد تقدّم هذا في غير موضع.

قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الكلبي: كان لداود ﷺ تسعة عشر ولداً، فوريث سليمان من بينهم نبوته ومملكه، ولو كان وراثته مال لكان جميع أولاده فيه سواء^(٤). وقاله ابن العربي^(٥)؛ قال: فلو كانت وراثته مال لانقسمت على العدد، فخصَّ الله سليمان بما كان لداود

(١) فيما نقله عنه الطبرسي في مجمع البيان ٢٠٢/١٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/١٨ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٤/١٩٧ - ١٩٨. وقول قتادة أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٧٩).

(٤) النكت والعيون ٤/١٩٨.

(٥) في أحكام القرآن ٣/١٤٣٦.

من الحكمة والنبوة، وزاده من فضله ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده. قال ابن عطية^(١): داودُ من بني إسرائيل، وكان ملكاً، وورث سليمانُ ملكه ومنزلته من النبوة، بمعنى: صار إليه ذلك بعد موت أبيه، فسُمِّي ميراثاً تجوزاً، وهذا نحو قوله: «العلماء ورثة الأنبياء»^(٢). ويَحْتَمِلُ قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ»^(٣) أَنْ يُرِيدَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَسِيرَتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ وُورِثَ مَالَهُ كَزَكْرِيَاءَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ فِيهِ، وَهَذَا كَمَا تَقُولُ: إِنَّا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا شَغَلْتْنَا الْعِبَادَةُ، وَالْمُرَادُ أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْأَكْثَرِ. وَمِنْهُ مَا حَكَى سَيُوه: إِنَّا مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ.

قلت: قد تقدّم هذا المعنى في «مريم»^(٤) وأنَّ الصَّحِيحَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ» فَهُوَ عَامٌّ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا بِدَلِيلٍ.

قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشدَّ تعبدًا من سليمان^(٥). قال غيره: ولم يبلغ أحدٌ من الأنبياء ما بلغ ملكه؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى سَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ، وَأَتَاهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَوَرِثَ أَبَاهُ فِي الْمُلْكِ وَالنَّبُوَّةِ، وَقَامَ بَعْدَهُ بِشَرِيعَتِهِ، وَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ مُوسَى مِمَّنْ بُعِثَ أَوْ لَمْ يُبْعَثْ فَإِنَّمَا كَانَ بِشَرِيعَةِ مُوسَى، إِلَى أَنْ بُعِثَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَسَخَهَا. وَبَيْنَ الْهَجْرَةِ نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَثَمَانِ مِئَةِ سَنَةٍ. وَالْيَهُودُ تَقُولُ: أَلْفٌ وَثَلَاثُ مِئَةٍ وَاثْنَتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً. وَقِيلَ: إِنَّ بَيْنَ مَوْتِهِ وَبَيْنَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَسَبْعِ مِئَةٍ، وَالْيَهُودُ تُنْقِصُ مِنْهَا ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَعَاشَ نَبِيًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً.

(١) في المحرر الوجيز ٤/٢٥٣.

(٢) سلف ٥/٦٤.

(٣) سلف ١١/٧٨.

(٤) عند تفسير الآية (٦).

(٥) تفسير أبي الليث ٢/٤٩١، وعرائس المجالس ص ٢٩٤، وتفسير البغوي ٣/٤٠٩.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: قال سليمانُ لبني إسرائيل على جهة الشكر لنعيم الله: «عَلَّمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ» أي: تفضّل الله علينا على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة والخلافة في الأرض في أن فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسنا.

قال مقاتل في الآية: كان سليمانُ جالساً ذات يوم إذ مرَّ به طائرٌ يطوف، فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر؟ إنها قالت لي: السلامُ عليك أيُّها الملكُ المُسلِّطُ والنبِيُّ لبني إسرائيل، أعطاك الله الكرامة، وأظهركَ على عدوك، إني منطلقٌ إلى أفراسي ثم أمرُ بك الثانية - وإنه سيرجعُ إلينا الثانية - ثم رجَعَ فقال: إنَّهُ يقول: السلامُ عليك أيُّها الملكُ المُسلِّطُ، إن شئتَ أن تأذَنَ لي كيما أكتسبَ على أفراسي حتى يشبُّوا، ثم آتيكَ فافعلُ بي ما شئتَ. فأخبرهم سليمانُ بما قال، وأذِنَ له فانطلقَ. وقال فرقد السَّبْخِيُّ: مرَّ سليمانُ على بلبلٍ فوق شجرةٍ يُحرِّكُ رأسه ويُميلُ ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا: لا يا نبِيَّ الله. قال: إنَّهُ يقول: أكلتُ نصفَ تمرَةٍ فعلى الدنيا العَفَاءُ^(١).

ومرَّ بهدهدٍ فوق شجرةٍ وقد نصبَ له صبيٌّ فخاً، فقال له سليمان: احذِرْ يا هُدهُدُ. فقال: يا نبِيَّ الله، هذا صبيٌّ لا عقلَ له فأنا أسخِرُ به. ثم رجَعَ سليمانُ فوجده قد وقَعَ في حبالِ الصبيِّ وهو في يده، فقال: هُدهُدُ ما هذا؟ قال: ما رأيتها حتى وقعتُ فيها يا نبِيَّ الله. قال: ويحك! فأنت ترى الماء تحت الأرض أما ترى الفخَّ؟! قال: يا نبِيَّ الله، إذا نزلَ القضاءُ عمي البصرُ^(٢).

وقال كعب: صاحَ وَرْشان^(٣) عند سليمانَ بنِ داود، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: لِدُوا للموتِ وابنوا للخراب. وصاحتُ فاختة^(٤)، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنَّها تقول: ليتَ هذا الخلقَ لم يُخلَقوا، وليتهم إذ خُلِقوا عِلِموا

(١) عرائس المجالس ص ٢٩٧، وتفسير البغوي ٤٠٩/٣.

(٢) سيرد نحوه عند تفسير الآية (٢٠).

(٣) الوَرْشان: طائر يشبه الحمامة. اللسان (ورش).

(٤) جمعها فواخت: وهي ضربٌ من الحمام المُطَوَّق. اللسان (فخت).

لماذا خُلِقُوا. وصاح عنده طاوس، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: كما تدين تُدان. وصاح عنده هُدهد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: فإنه يقول: من لا يَرَحْمَ لا يُرَحِم. وصاح صُرْدٌ عنده، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: استغفروا الله يا مذنبين، فَمِنْ ثَمَّ نَهَى رسول الله ﷺ عن قتله - وقيل: إن الصُّرْدَ هو الذي دَلَّ آدمَ على مكان البيت، وهو أوَّلُ من صام؛ ولذلك يُقال للصردي: الصَّوَام. رُوِيَ عن أبي هريرة - وصاحت عنده طيطوى^(١)، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول: كلُّ حيٍّ مَيِّتٌ، وكلُّ جديدي بالٍ. وصاحت خُطَّافَةٌ عنده، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول: قَدَمُوا خيراً تجدوه. فَمِنْ ثَمَّ نَهَى رسول الله ﷺ عن قتلها - وقيل: إنَّ آدمَ خرجَ من الجنة فاشتكى إلى الله الوَحْشَةَ، فأنَّسه اللهُ تعالى بالخُطَّافِ وألزمها البيوت، فهي لا تُفَارِقُ بني آدمَ أنساً لهم. قال: ومعها أربعُ آياتٍ من كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ﴾ [الحشر: ٢١] إلى آخرها وتمدُّ صوتها بقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ - وهدرت حمامةٌ عند سليمانَ فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول: سُبْحَانَ رَبِّي الأعلى عدد ما في سماواته وأرضه. وصاح قُمْرِيٌّ عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: سُبْحَانَ رَبِّي العظيم المهيمن^(٢). وقال كعب: وحَدَّثهم سليمانُ فقال: الغرابُ يقول: اللهمَّ أَلْعِنِ العَسَّارَ. والجدأةُ تقول: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ. والقَطَاةُ تقول: مَنْ سَكَتَ سَلِمَ. والبيغاءُ تقول: ويلٌ لمن الدنيا همُّه. والضفدعُ يقول: سُبْحَانَ رَبِّي القُدُّوسِ. والبازي يقول: سُبْحَانَ رَبِّي وبحمده. والسرطان^(٣) يقول: سُبْحَانَ المذکورِ بكلِّ لسانٍ في كلِّ مكان^(٤).

وقال مكحول: صَاحَ دُرَّاجٌ^(٥) عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا.

(١) الطيطوى: طائر من طيور الماء لا يفارق الآجام وكثرة الماء. معجم متن اللغة ٦٤٨/٣.

(٢) في عرائس المجالس: «سبحان الحي الذي لا يموت أبداً» وفي تفسير البغوي: «سبحان ربي الأعلى».

(٣) في عرائس المجالس: والعصفور. وفي تفسير البغوي: والضفدعة.

(٤) عرائس المجالس ص ٢٩٦، وتفسير البغوي ٤٠٩/٣. وما بين اعتراض ليس فيهما.

(٥) الدُّرَّاج: طائرٌ ظاهرٌ جناحه أغبر، وباطنه أسود، وهو شبيهٌ بالحجل. معجم متن اللغة (درج).

قال: إنه يقول: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى^(١). وقال الحسن: قال النبي ﷺ: «الديك إذا صاح قال: اذكروا الله يا غافلين^(٢)». وقال الحسين^(٣) بن علي بن أبي طالب: قال النبي ﷺ: «النَّسْرُ إِذَا صَاحَ قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ، عِشْ مَا شِئْتَ فَأَخْرُكُ الْمَوْتَ. وَإِذَا صَاحَ الْعُقَابُ قَالَ: فِي الْبُعْدِ مِنَ النَّاسِ الرَّاحَةُ. وَإِذَا صَاحَ الْقُنْبُرُ قَالَ: إِلَهِي الْعَنَ مُبْغِضِي آلِ مُحَمَّدٍ. وَإِذَا صَاحَ الْخُطَافُ قَرَأَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا، فَيَقُولُ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وَيَمْدُ بِهَا صَوْتَهُ كَمَا يَمْدُ الْقَارِيءُ^(٤)».

قال قتادة والشَّعْبِيُّ: إِنَّمَا هَذَا الْأَمْرُ فِي الطَّيْرِ خَاصَّةً؛ لِقَوْلِهِ: ﴿عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾ وَالنَّمْلَةُ طَائِرٌ إِذْ قَدْ يُوجَدُ لَهُ أَجْنَحَةٌ. قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَكَذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ النَّمْلَةُ ذَاتَ جَنَاحِينَ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: بَلْ كَانَ فِي جَمِيعِ الْحَيَوَانَ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الطَّيْرَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ جُنْدًا مِنْ جُنْدِ سَلِيمَانَ يَحْتَاجُهُ فِي التَّظْلِيلِ عَنِ الشَّمْسِ وَفِي الْبَعْثِ فِي الْأُمُورِ، فَخُصَّ بِالذِّكْرِ لِكَثْرَةِ مَدَاخِلَتِهِ، وَلِأَنَّ أَمْرَ سَائِرِ الْحَيَوَانَ نَادِرٌ وَغَيْرُ مُتَرَدِّدٍ تَرَدَادَ أَمْرِ الطَّيْرِ^(٥).

وقال أبو جعفر النَّحَّاسُ^(٦): وَالْمَنْطِقُ قَدْ يَقَعُ لِمَا يُفْهَمُ بِغَيْرِ كَلَامٍ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ^(٧): مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَنْطِقَ الطَّيْرِ فَتَقْصَانٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَفْهَمُ كَلَامَ مَنْ لَا يَتَكَلَّمُ وَيُخَلِّقُ لَهُ فِيهِ الْقَوْلَ مِنَ النَّبَاتِ، فَكَانَ كُلُّ نَبْتٍ يَقُولُ لَهُ: أَنَا شَجَرٌ كَذَا، أَنْتَعُ مِنْ كَذَا، وَأَضُرُّ مِنْ كَذَا، فَمَا ظَنُّكَ بِالْحَيَوَانَ؟!

(١) عرائس المجالس ص ٢٩٧، وتفسير البغوي ٤٠٩/٣.

(٢) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ٢٩٧ من طريق صالح بن بشير المزني، عن الحسن - وهو البصري - مرفوعاً. إسناده منقطع، وصالح المري ضعيف. تهذيب التهذيب ٢/١٨٩-١٩٠. وذكره الديلمى في الفردوس (٣١٢٩) موقوفاً، وقال: عن الحسن، وربما هو ابن علي.

(٣) في النسخ: الحسن. والمثبت من المصادر.

(٤) هو في عرائس ص ٢٩٧، وتفسير البغوي ٤٠٩/٣ موقوف على الحسين ﷺ.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٥٣.

(٦) في إعراب القرآن ٣/٢٠١.

(٧) في أحكام القرآن ٣/١٤٣٩.

قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ﴾ «حُشِرَ» جمع^(١)، والحشُر: الجَمْعُ، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَحُشِرَ لَهُمْ فَلَمْ يُقَادِرْ عَلَيْهِمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]. واختلف الناس في مقدار جُنْدِ سليمان عليه السلام، فيقال: كان معسكره مئة فرسخ في مئة: خمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاث مئة منكوحية وسبع مئة سُريّة^(٢). ابن عطية: واختلف في مُعسكره ومقدار جُنْدِهِ اختلافاً شديداً، غير أن الصحيح أن مُلكه كان عظيماً مِلاً الأرض، وانقادت له المعمورة كلها. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ معناه: يُرَدُّ أَوْلَهُمْ إلى آخرهم ويُكْفُون. قال قتادة: كان لكل صنّف وزعة في ربتهم ومواضعهم من الكرسي ومن الأرض إذا مشوا فيها^(٣). يقال: وزعته أوزعه وزعاً أي: كَفَفْتُهُ. والوازع في الحرب: المُوَكَّلُ بالصفوف يَزِعُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ^(٤). روى محمد بن إسحاق عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لَمَّا وَقَفَ رسولُ الله ﷺ بذي طوى - تعني يوم الفتح - قال أبو قحافة - وقد كُفَّ بصره يومئذ - لابنته: اظْهيري بي على أبي قُبَيْس. قالت: فأشرفْتُ به عليه، فقال: ما تَرَيْنِ؟ قالت: أرى سواداً مُجْتَمِعاً. قال: تلكَ الحَيْلُ. قالت: وأرى رجلاً من السَّوادِ مُقْبِلاً ومُدْبِراً. قال: ذلكَ الوازعُ يمنعُها أن تنتشِرَ. وذكر تمام الخبر^(٥). ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «ما رُؤِيَ الشيطانُ

(١) المحرر الوجيز ٢٥٣/٤.

(٢) الكشاف ١٤٠/٣، وذكره الواحدي في الوسيط ٣/٣٧٢، والبغوي في تفسيره ٤١٠/٣ عن محمد بن كعب القرظي.

(٣) المحرر الوجيز ٢٥٣/٤.

(٤) تهذيب اللغة ٩٩/٣.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ ابن عبد البر في التمهيد ١/١١٧-١١٨. وأخرجه أحمد (٢٦٩٥٦).

يوماً هو فيه أصغرَ ولا أذحرَ ولا أحقرَ ولا أغيظَ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوبِ العظام، إلا ما رأى يوم بدر» قيل: وما رأى يارسول الله؟ قال: «أما أنه رأى جبريلَ يَزْعُ الملائكة» خرّجه الموطأ^(١). ومن هذا المعنى قولُ النَّابغة^(٢):

على حينَ عاتبْتُ المَشيبَ على الصِّبا وقلتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيبُ وازعُ
آخر:

ولمَّا تلاقينا جَرَّتْ من جُفوننا دموعٌ ورزغنا غَرَبَها بالأصابع^(٣)
آخر:

ولا يَزْعُ التَّفَسُّرَ اللُّجوجَ عن الهوى من النَّاسِ إلا وافِرُ العقلِ كاملُهُ
وقيل: هو من التوزيع، بمعنى التفريق. والقوم أوزاع، أي: طوائف.

وفي القصة: إن الشياطين نسجت له بساطاً فرسخاً في فرسخٍ ذهباً في إبريسم، وكان يوضَعُ له كرسيٌّ من ذهبٍ وحوله ثلاثة آلافِ كرسيٍّ من ذهبٍ وفضّةٍ، فيقعدُ الأنبياءُ على كرسيِّ الذهب، والعلماءُ على كرسيِّ الفِضّة^(٤).

الثانية: في الآية دليلٌ على اتِّخاذِ الإمامِ والحكّامِ وزعةً يكفون الناسَ ويمنعونهم من تطاولِ بعضهم على بعض؛ إذ لا يُمكنُ الحكامُ ذلك بأنفسهم.

وقال ابن عون: سمعتُ الحسنَ يقول وهو في مجلسٍ قضائه لمّا رأى ما يصنعُ الناسُ قال: واللّه ما يُصلِحُ هؤلاء الناسَ إلا وزعة^(٥). وقال الحسنُ أيضاً: لا بُدُّ

(١) ٤٢٢/١، وقد سلف ٣٣٩/٣.

(٢) وهو الذبياني، وقد سلف ٣٠٨/٨.

(٣) قائله المعلوط السعدي كما في التمهيد ١١٧/١. وذكر البيت الذي يليه من غير نسبة.

(٤) عرائس المجالس ص ٢٩٦.

(٥) التمهيد ١١٨/١.

للناس من وازع، أي: من سلطانٍ يَكْفُهُمْ^(١). وذكرَ ابنُ القاسمِ قال: حَدَّثَنَا مالِكٌ أَنَّ عثمانَ بنَ عفانَ كان يقول: ما يَزَعُ الإمامُ أَكْثَرُ مِمَّا يَزَعُ القرآنَ، أي: من الناس. قال ابنُ القاسمِ: قلتُ لمالك: ما يَزَعُ؟ قال: يَكْفُ^(٢). قال القاضي أبو بكر ابن العربي^(٣): وقد جهلَ قومُ المُرادَ بهذا الكلام، فظنُّوا أَنَّ المعنى فيه^(٤) أَنَّ قُدْرَةَ السلطانِ تردُّعُ الناسِ أَكْثَرُ مِمَّا تردُّعُهُم حدودُ القرآنِ، وهذا جهلٌ باللهِ وحكمته. قال: فَإِنَّ اللهَ ما وضعَ الحدودَ إِلَّا مصلحةً عامَّةً كافَّةً قائمةً لقوامِ الخلقِ، لا زيادةً عليها، ولا نقصانَ معها، ولا يصلُحُ سواها، ولكنَّ الظَّلْمَةَ خاسوا بها، وقَصَّروا عنها، وأتوا ما أتوا بغير نية، ولم يقصدوا وجهَ الله في القضاء بها، فلم يرتدِعِ الخلقُ بها، ولو حكموا بالعدل، وأخلصوا النية، لاستقامتِ الأمور، وصلحَ الجمهور.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمۡ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٨﴾﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ قال قتادة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ وادٌّ بَارِضِ الشَّامِ. وقال كعب: هو بالطائف. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾ قال الشعبي: كان للنملة جناحان فصارت من الطير؛ فلذلك عَلِمَ منطقتها، ولولا ذلك لَمَا عَلِمَهُ^(٥). وقد مضى هذا ويأتي. وقرأ سليمان التيمي بمكة: «نَمْلَةٌ» و«النَّمْلُ» بفتح النون وضم الميم.

(١) تفسير أبي الليث ٤٩١/٢ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ١١٨/١ .

(٣) في أحكام القرآن ١٤٣٨/٣ - ١٤٣٩ .

(٤) كلمة «فيه» من (م) ومن أحكام القرآن.

(٥) النكت والعيون ١٩٩/٤ .

وعنه أيضاً صَمُّهُمَا جميعاً^(١). وَسُمِّيَتِ النَّمْلَةُ نَمْلَةً لِتَنْمُلِهَا وهو كثرةٌ حركتها وَقَلَّةُ قَرَارِهَا^(٢). قال كعب: مرَّ سليمانُ عليه السلام بوادي السَّدير من أودية الطائف، فأتى على وادي النمل، فقامت نملةٌ تمشي وهي عرجاء تتكاوس^(٣)، [وكانت^(٤)] مثل الذُّب في العِظَم، فنادت: ﴿يَكَايُهَا النَّمْلُ﴾ الآية^(٥). الزمخشري: سمعَ سليمانُ كلامها من ثلاثة أميال، وكانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس. وقيل: كان اسمها طاخية^(٦). وقال الشَّهيلي^(٧): ذكروا اسمَ النَّمْلَةِ الْمُكَلَّمَةِ لسليمانَ عليه السلام، وقالوا: اسمها حرميا، ولا أدري كيف يُتَصَوَّرُ للنملة اسمٌ عَلم، والنمل لا يُسَمَّى بعضهم بعضاً، ولا الآدميون يمكنهم تسمية واحدةٍ منهم باسمِ عَلم؛ لأنَّه لا يتميَّز للآدميين بعضهم من بعض، ولا هم أيضاً واقعون تحت ملكة بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها، فإنَّ العَلَمِيَّةَ فيما كان كذلك موجودةً عند العرب. فإن قلت: إنَّ العَلَمِيَّةَ موجودةٌ في الأجناس كُتْعَالَةٌ وأَسَامَةٌ وَجَعَارٌ وَقَتَامٌ في الضَّبَعِ ونحو هذا كثير، فليس اسمُ النملةِ من هذا؛ لأنَّهم زعموا أنه اسمُ عَلمٍ لنملةٍ واحدةٍ معينةٍ من بين سائر النمل، وتُعالَةٌ ونحوه لا يختصُّ بواحدٍ من الجنس، بل كلُّ واحدٍ رأيتَه من ذلك الجنس فهو تُعالَةٌ، وكذلك أسامةٌ وابن آوى وابن عرس وما أشبه ذلك. فإن صحَّ ما قالوه فله وجه، وهو أن تكون هذه النملةُ الناطقةُ قد سُمِّيَتْ بهذا الاسم في التوراة أو

(١) المحتسب ١٣٧/٢، والمححر الوجيز ٢٥٣/٤، وهما قراءتان شاذتان. والقراءة الأولى ذكرها ابن خالويه في الشاذة ص ١٠٨ عن طلحة بن مصرف والمعتمر بن سليمان، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ١٦١/٦ عن طلحة وأبي مجلز وأبي رجاء وعاصم الجحدري.

(٢) النكت والعيون ٢٠٠/٤.

(٣) من الكؤوس: وهو المشي على رجلٍ واحدة، ومن ذوات الأربع على ثلاث قوائم. اللسان (كوس).

(٤) كلمة «وكانت» من عرائس المجالس.

(٥) عرائس المجالس ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٦) الكشاف ١٤١/٣. وهكذا وردت تسمية النملة في عرائس المجالس ص ٢٩٩، وتفسير البغوي ٤١١/٣

عن الضحاك.

(٧) في التعريف والإعلام ص ١٢٦-١٢٧.

في الزُّبُور أو في بعض الصُّحُف سَمَّاهَا اللهُ تعالى بهذا الاسم، وعَرَفَهَا به الأنبياءُ قبل سليمانَ أو بعضهم. وَخُصَّتْ بالتسمية لنطقها وإيمانها، فهذا وجه. ومعنى قولنا: بإيمانها أنها قالت للنمل: ﴿لَا يَحِطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ التفاتة مؤمن. أي: مِنْ عدل سليمانَ وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملةً فما فوقها إلا بالألأ يشعروا. وقد قيل: إن تبسّم سليمانَ سرورٌ بهذه الكلمة منها؛ ولذلك أَكَّدَ التَّبَسُّمَ بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ إذ قد يكون التبسُّمُ من غير ضحكٍ ولا رضا، ألا تراهم يقولون: تبسّم تبسّم الغضبان، وتبسّم تبسّم المستهزئين. وتبسّم الضحك إنما هو عن سرور، ولا يُسرُّ نبيٌّ بأمر دنيا، وإنما سرُّ بما كان من أمر الآخرة والدين. وقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إشارة إلى الدين والعدل والرافة. ونظيرُ قولِ النملةِ في جندِ سليمانَ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولُ اللهِ تعالى في جندِ محمدٍ ﷺ: ﴿فَتَصِيبِكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ يَغَيِّرُ عَلَيْكُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] التفاتاً إلى أنهم لا يقصدون هذراً مؤمن. إلا أنَّ المُثني على جندِ سليمانَ هي النملة بإذن الله تعالى، والمُثني على جندِ محمدٍ ﷺ هو الله عزَّ وجلَّ بنفسه؛ لِمَا لجنودِ محمدٍ ﷺ من الفضل على جندهِ غيره من الأنبياء، كما لمحمدٍ ﷺ فضلٌ على جميع النبيين صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

وقرأ شهر بن حوشب: «مَسَاكِنُكُمْ» بسكون السين على الإفراد. وفي مصحف أبي: «مَسَاكِنُكُمْ لَا يَحِطَمَنَّكُمْ»^(١). وقرأ سليمان التيمي: «مَسَاكِنُكُمْ»^(٢) لَا يَحِطَمَنَّكُمْ» ذكره النَّحَّاس^(٣). أي: لا يكسِرُتكم بوظيهم عليكم وهم لا يعلمون بكم^(٤). قال المهدوي: وأفهم اللهُ تعالى النملةَ هذا لتكون معجزةً لسليمان. وقال وهب:

(١) المحرر الوجيز ٢٥٤/٤، وقراءة شهر في الشاذة ص ١٠٨، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ١٦١/٦ عن أبي بن كعب وأبي المتوكل وعاصم الجحدري.

(٢) في النسخ: مساكنتكم. والمثبت من معاني القرآن للنحاس.

(٣) في معاني القرآن ١٢١/٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٨/١٨.

أمر الله تعالى الريح ألا يتكلم أحد بشيء إلا طرحته في سمع سليمان؛ بسبب أن الشياطين أرادت كيده. وقد قيل: إن هذا الوادي كان ببلاد اليمن وأنها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد. قاله الكلبي. وقال نؤف الشامي وشقيق بن سلمة: كان نمل ذلك الوادي كهيئة الذئب في العظم^(١). وقال بريدة الأسلمي: كهيئة النعاج^(٢). قال محمد بن علي الترمذي: فإن كان على هذه الخلقة فلها صوت، وإنما افتقد صوت النمل لصغر خلقها، وإلا فالأصوات في الطيور والبهائم كائنة، وذلك منقطعهم، وفي تلك المناطق معاني التسييح وغير ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قلت: وقوله «لَا يَحِطَمَنَّكُمْ» يدل على صحة قول الكلبي؛ إذ لو كانت لهيئة الذئب والنعاج لما حطمت بالوطء؛ والله أعلم. وقال: «اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ» فجاء على خطاب الآدميين؛ لأن النمل هاهنا أُجْرِي مجرى الآدميين حين نطق كما ينطق الآدميون. قال أبو إسحاق الثعلبي: ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها: لِمَ حَذَرْتِ النَّمْلَ؟ أَخِفْتِ ظَلْمِي؟ أَمَا عَلِمْتِ أَنِّي نَبِيٌّ عَدْلٌ؟ فَلِمَ قَلْتِ: ﴿يَحِطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُودُهُ؟﴾ فقالت النملة: أَمَا سَمِعْتِ قَوْلِي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مع أنني لم أَرِدُ حَظْمَ النفوس، وإنما أردتُ حَظْمَ القلوبِ خشية أن يتمنينَّ مثل ما أعطيت، أو يُفتتنَ بالدنيا، ويستغلنَّ بالنظر إلى مُلكِكَ عن التسييح والذُكر. فقال لها سليمان: عَظِيئِي. فقالت النملة: أَمَا عَلِمْتِ لِمَ سُمِّيَ أَبُوكَ دَاوُدَ؟ قال: لا. قالت: لأنه داوى جراحة فؤاده؛ هل عَلِمْتِ لِمَ سُمِّيَتْ سُلَيْمَانَ؟ قال: لا. قالت: لأنك سليمُ الناحية على ما أوتيتَه بسلاية صدرك، وَحَقُّ^(٣) لَكَ أَنْ تَلْحَقَ بِأَبِيكَ دَاوُدَ^(٤). ثم قالت: أَتَدْرِي لِمَ سَخَّرَ اللَّهُ

(١) أخرجه الطبري ٢٨/١٨ عن نوف.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٦١/٦ من غير نسبة.

(٣) في النسخ: وإن. والمثبت من عرائس المجالس.

(٤) كلمة داود من عرائس المجالس.

لَكَ الرِّيحَ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: أَخْبِرْكَ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا رِيحٌ. ﴿فَنَبَّسَهُ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا﴾ مُتَعَجِّبًا^(١). ثُمَّ مَضَتْ مُسْرِعَةً إِلَى قَوْمِهَا، فَقَالَتْ: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَيْءٍ يُنْهَدِيهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ؟ قَالُوا: وَمَا قَدَّرُ مَا نُهْدِي لَه؟ وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا إِلَّا نَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ! قَالَتْ: حَسَنَةٌ، أَيَتُونِي بِهَا. فَأَتَوْهَا بِهَا، فَحَمَلَتْهَا بِفِيهَا، فَانْطَلَقَتْ تَجْرُهَا، فَأَمَرَ اللَّهُ الرِّيحَ فَحَمَلَتْهَا، وَأَقْبَلَتْ تَشُقُّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالْعُلَمَاءَ وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى الْبَسَاطِ، حَتَّى وَقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ وَضَعَتْ تِلْكَ النَّبَقَةَ مِنْ فِيهَا فِي كَفِّهِ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

أَلَمْ تَرْنَا نُهْدِي إِلَى اللَّهِ مَالَهُ وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غَنَى فَهُوَ قَابِلُهُ
وَلَوْ كَانَ يُهْدَى لِلْجَلِيلِ بِقَدْرِهِ لَقَصَّرَ عَنْهُ الْبَحْرُ يَوْمًا وَسَاحِلُهُ
وَلَكِنَّا نُهْدِي إِلَى مَنْ نُحِبُّهُ فَيَرْضَى بِهِ عَنَّا وَيَشْكُرُ فَاعِلُهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ كَرِيمٍ فِعَالُهُ وَإِلَّا فَمَا فِي مُلْكِنَا مَا يُشَاكِلُهُ

فَقَالَ لَهَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ. فَهَمَّ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ أَشْكُرُ خَلْقِي اللَّهُ وَأَكْثَرُ خَلْقِي اللَّهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ: الْهَدَّهْدَ، وَالصُّرْدَ، وَالْتَّمَلَةَ، وَالنَّحْلَةَ. خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ^(٢)، وَصَحَّحَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ^(٣). وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَدْ مَضَى فِي «الْأَعْرَافِ»^(٤). فَالْتَّمَلَةُ أَثْنَتٌ عَلَى سَلِيمَانَ وَأَخْبِرَتْ بِأَحْسَنَ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ إِنْ حَطَمُواكُمْ، وَلَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عَنْ عَمْدٍ مِنْهُمْ، فَفَقَّتْ عَنْهُمْ الْجُورُ؛ وَلِذَلِكَ نَهَى عَنْ قَتْلِهَا، وَعَنْ قَتْلِ الْهَدَّهْدِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلَ سَلِيمَانَ عَلَى الْمَاءِ وَرَسُولَهُ إِلَى بَلْقَيْسٍ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: إِنَّمَا صَرَفَ اللَّهُ شَرَّ سَلِيمَانَ عَنْ الْهَدَّهْدِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بَارًا بِوَالِدِيهِ.

وَالصُّرْدُ يُقَالُ لَهُ: الصَّوَامُ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ صَامَ الصُّرْدَ، وَلَمَّا

(١) كلام الثعلبي من أوله إلى هذا الموضع من عرائس المجالس ص ٢٩٩، وما بعده لم نجده فيه.

(٢) في سننه (٥٢٦٧).

(٣) في الأحكام الوسطى ٢٤٩/٤، والأحكام الصغرى ٨٤٨/٢.

(٤) ٣١٣/٩.

خرج إبراهيم عليه السلام من الشام إلى الحرم في بناء البيت كانت السكينة معه والصدرد، فكان الصدرد دليله على الموضع، والسكينة مقدارَه، فلما صار إلى البقعة وقعت السكينة على موضع البيت ونادت وقالت: ابن يا إبراهيم على مقدار ظلي^(١). وقد تقدّم في «الأعراف»^(٢) سبب النهي عن قتل الضفدع، وفي «النحل»^(٣) النهي عن قتل النحل. والحمد لله.

الثانية: قرأ الحسن: «لا يَحِطَّمَنَّكُمْ»، وعنه أيضاً: «لا يَحِطَّمَنَّكُمْ»، وعنه أيضاً وعن أبي رجاء: «لا يُحِطَّمَنَّكُمْ»^(٤) والْحَطْمُ: الكسر^(٥). حَطَّمْتُهُ حَطْمًا أَي: كَسَرْتُهُ وَتَحَطَّمْتُ، وَالتَّحَطُّيمُ: التَّكْسِيرُ^(٦).

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يجوز أن يكون حالاً من سليمان وجنوده، والعاملُ في الحالِ «يَحِطَّمَنَّكُمْ». أو حالاً من النملة، والعاملُ «قَالَتْ»، أي: قالت ذلك في حال غفلة الجنود، كقولك: قمتُ والناسُ غافلون. أو حالاً من النمل أيضاً، والعاملُ «قَالَتْ» على أن المعنى: والنملُ لا يشعرون أن سليمان يفهمُ مقاتلتها. وفيه بُعدٌ، وسيأتي.

الثالثة: روى مسلمٌ من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «أنَّ نملةً قرصتُ نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقتُ، فأوحى الله تعالى إليه: أفي أن قرصتكَ نملةً أهلكت أمةً من الأمم تُسبِحُ؟!»^(٧) وفي طريقٍ آخر: «فهلَّا نملةً واحدةً»^(٨). قال

(١) نوادير الأصول ص ١٣٢ .

(٢) ٣١٣/٩ .

(٣) ٣٦٥/١٢ .

(٤) هذه القراءات الثلاث كلها شاذة، والأولى في المحاسب ١٣٧/٢، والشاذة ص ١٠٨. والثانية في المحاسب ١٣٧/٢، والمحزر الوجيز ٢٥٤/٤، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ١٦٢/٦ نسبتها إلى أبي المتوكل وأبي مجلز. والقراءة الثالثة في الشاذة ص ١٠٨ عن الحسن وحده، وفي المحزر الوجيز ٢٥٤/٤ عن الحسن وأبي رجاء.

(٥) تفسير البغوي ٤١١/٣، وزاد المسير ١٦٢/٦ .

(٦) الصحاح (حطم).

(٧) صحيح مسلم (٢٢٤١): (١٤٨). وأخرجه أحمد (٩٢٢٩)، والبخاري (٣٠١٩).

(٨) صحيح مسلم (٢٢٤١): (١٤٩) و(١٥٠). وأخرجه أحمد (٨١٣٠)، والبخاري (٣٣١٩).

علمائونا: يقال: إن هذا النبي هو موسى عليه السلام، وإنه قال: يا رب، تُعَذِّبُ أَهْلَ قَرْيَةٍ بِمَعَاصِيهِمْ وَفِيهِمُ الطَّائِعَ. فكأنه أحب أن يُرِيَهُ ذلك من عنده، فسَلَطَ عليه الحرَّ حتى التجأ إلى شجرة مُسْتَرَوِحاً إلى ظِلِّهَا، وعندها قرية النمل، فغلبه النوم، فلَمَّا وجدَ لَذَّةَ النَّوْمِ لدَغْتِهِ النَّمْلَةَ فَأُضْجِرْتُهُ، فدلكهُنَّ بِقَدَمِهِ فَأَهْلَكَهُنَّ، وأحرق تلك الشجرة التي عندها مساكنهم، فأراه الله العبرة في ذلك آية: لَمَّا لَدَغْتِكَ نَمْلَةً فَكَيْفَ أَصَبَتْ الْبَاقِينَ بِعَقُوبَتِهَا؟! يريد أن يُنبِّهه أن العقوبة من الله تعالى تعم فتصيرُ رحمةً على المطيع وطهارةً وبركةً، وشرًّا ونقمةً على العاصي. وعلى هذا فليس في الحديث ما يدلُّ على كراهةٍ ولا حَظَرٍ في قتل النمل؛ فَإِنَّ مَنْ آذَاكَ حَلَّ لَكَ دَفْعُهُ عَنْ نَفْسِكَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ أَعْظَمُ حَرَمَةً مِنَ الْمُؤْمِنِ، وقد أُبِيحَ لَكَ دَفْعُهُ عَنْكَ بِقَتْلِ وَضَرْبِ عَلَى الْمَقْدَارِ، فكيف بالهوامِّ والدوابِّ التي قد سُخِّرَتْ لَكَ وَسُلِّطَتْ عَلَيْهَا، فإذا آذَاكَ أُبِيحَ لَكَ قَتْلُهُ. وَرَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: مَا آذَاكَ مِنَ النَّمْلِ فَاقْتُلْهُ. وقوله: «ألا نملة واحدة» دليلٌ على أن الذي يُؤذِي يُؤذِي وَيُقْتَلُ، وكلِّمَا كَانَ الْقَتْلُ لِنَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ فَلَا بَأْسَ بِهِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ. وأطلق له نملة ولم يَحْصُصْ تِلْكَ النَّمْلَةَ التي لدغت من غيرها؛ لأنَّه ليس المراد القصاص؛ لأنَّه لو أَرَادَهُ لَقَالَ: أَلَا نَمَلْتِكَ التي لدغتك؟ ولكن قال: أَلَا نَمْلَةَ مَكَانَ نَمْلَةٍ؟ فَعَمَّ الْبَرِيءَ وَالْجَانِي بِذَلِكَ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَهُ لِمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ فِي عَذَابِ أَهْلِ قَرْيَةٍ وَفِيهِمُ الْمَطِيعَ وَالْعَاصِي. وقد قيل: إنَّ هذا النبي كانت العقوبة للحيوانِ بالتحريقِ جائزةً في شرعه؛ فلذلك إنَّما عاتبَهُ اللهُ تعالى في إحراقِ الكثيرِ مِنَ النَّمْلِ لا في أصلِ الإحراق. أَلَا تَرَى قَوْلَهُ: «فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً» أَي: هَلَّا حَرَقْتَ نَمْلَةً وَاحِدَةً. وهذا بخلافِ شرعنا، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد نهى عن التعذيب بالنار، وقال: «لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ إِلَّا اللَّهُ»^(١). وكذلك أيضاً كان قتلُ النملِ مُباحاً في شريعة ذلك النبي؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعَيِّنْهُ عَلَى أَصْلِ قَتْلِ النَّمْلِ. وأمَّا شرعنا فقد جاء من حديث ابن عباس وأبي هريرة النهي عن ذلك. وقد كره مالك قتلُ النَّمْلِ إِلَّا أَنْ يَضُرَّ وَلَا يَقْدِرَ عَلَى دَفْعِهِ إِلَّا بِالْقَتْلِ. وقد

(١) أخرجه أحمد (٨٠٦٨)، والبخاري (٣٠١٦) من حديث أبي هريرة ؓ.

قيل: إن هذا النبي إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه بإهلاك جَمْعِ آذَاهُ واحدٍ [منه^(١)]، وكان الأولى الصبرُ والصفحُ، لكن وقع للنبي أن هذا النوع مؤذٍ لبني آدم، وحرمة بني آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق، فلو انفرد له هذا النظر ولم ينضم إليه التشفي الطبيعي^(٢) لم يُعاتب. والله أعلم. لكن لما انضاف إليه التشفي الذي دلَّ عليه سياق الحديث عُوتب عليه.

الرابعة: قوله: «أفي أن قرصتكَ نملةً أهلكت أمةً من الأمم تُسيحُ» مقتضى هذا أنه تسيحُ بمقالٍ ونُطقٍ، كما أخبر الله عن النمل أن لها منطقالاً، وفهمه سليمان عليه السلام - وهذا معجزة له - وتبسّم من قولها. وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً أن للنمل نُطقاً وقولاً، لكن لا يسمعه كلُّ أحد، بل مَنْ شاء الله تعالى ممّن خرق له العادة من نبيٍّ أو وليٍّ. ولا يُنكر^(٣) هذا مِنْ حيثُ أننا لا نسمع ذلك؛ فإنه لا يلزم من عدم الإدراك عدم المدرك في نفسه. ثم إن الإنسان يجد في نفسه قولاً وكلاماً ولا يُسمع منه إلا إذا نطق بلسانه. وقد خرق الله العادة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ فأسمعه كلام النَّفس من قوم تحدّثوا مع أنفسهم وأخبرهم بما في نفوسهم، كما قد نقلَ منه الكثير أئمتنا^(٤) في كتب معجزات النبي ﷺ، وكذلك قد^(٥) وقع لكثير ممّن أكرمه الله تعالى من الأولياء مثل ذلك في غير ما قضية. وإياه عنى النبي ﷺ بقوله: «إن في أمّتي مُحدّثين وإن عمراً منهم»^(٦). وقد مضى هذا المعنى في تسيح^(٧) الجماد في «سبحان»^(٨) وأنه تسيحُ لسانٍ ومقالٍ لا

(١) ما بين حاصرتين من المفهم.

(٢) في (م): الطبيعي.

(٣) في (م): ننكر.

(٤) قبلها في (د) و(ز) و(م): من.

(٥) كلمة «قد» من (ظ) والمفهم.

(٦) أخرجه أحمد (٢٤٢٨٥)، ومسلم (٢٣٩٨) بنحوه من حديث عائشة رضي الله عنها. ومن قوله: وقد

قيل: إن هذا النبي كانت العقوبة... إلى هذا الموضع من المفهم ٥٤٢/٥ - ٥٤٣.

(٧) كلمة «تسيح» من (م).

(٨) ٩٢/١٣.

تسيح دلالة حال. والحمد لله.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَنَبَسَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ وقرأ ابن السَّمِيعِ: «ضحكاً» بغير ألف^(١)، وهو منصوبٌ على المصدرِ بفعلٍ محذوفٍ يدلُّ عليه تَبَسَّمَ، كأنه قال: ضَحِكَ ضَحِكًا، هذا مذهب سيويه. وهو عند غير سيويه منصوب بنفس «تَبَسَّمَ»؛ لأنَّه في معنى ضحك. ومن قرأ: «ضَاحِكًا» فهو منصوبٌ على الحال من الضمير في «تَبَسَّمَ»^(٢). والمعنى: تَبَسَّمَ مقدارَ الضَّحِكِ؛ لأنَّ الضَّحِكَ يستغرقُ التَبَسُّمَ، والتَبَسُّمُ دون الضَّحِكِ، وهو أوَّلُه. يقال: بَسَمَ (بالفتح) يَبْسِمُ بَسْمًا فهو باسمٌ وابتَسَمَ وتَبَسَّمَ، والمَبْسِمُ: الثَّغْرُ، مثل المجلس من جلسَ يجلسُ، ورجلٌ مِبْسَامٌ وبِسَامٌ كثيرُ التَبَسُّمِ^(٣)، فالتَبَسُّمُ ابتداءُ الضَّحِكِ، والضَّحِكُ عبارةٌ عن الابتداء والانتهاء، إلا أنَّ الضَّحِكَ يقتضي مزيداً على التَبَسُّمِ، فإذا زاد ولم يضبطِ الإنسانُ نفسه قيل: قَهَقَهُ.

والتَبَسُّمُ ضَحِكُ الأنبياء عليهم السلام في غالب أمرهم^(٤). وفي الصحيح عن جابر بن سَمُرَةَ وقيل له: أكنتَ تُجالِسُ النبيَّ ﷺ؟ قال: نعم كثيراً، كان لا يقومُ من مُصَلَّاهُ الذي يصلِّي فيه الصبحَ - أو الغداةَ - حتى تطلعَ الشَّمْسُ، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون ويأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتَبَسَّمُونَ^(٥). وفيه عن سعد قال: كان رجلٌ من المشركين قد أحرق المسلمين^(٦)، فقال له النبيُّ ﷺ: «ارمِ فِدَاكَ أَبِي وأُمِّي» قال: فنزعتُ له بسهمٍ ليس فيه نَضْلٌ فأصبتُ جنبه، فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسولُ الله ﷺ حتى نظرتُ إلى نواجذِهِ^(٧). فكان عليه الصلاة والسلام في أكثر

(١) المحتسب ١٣٩/٢، وهي قراءة شاذة.

(٢) من بداية المسألة إلى هذا الموضع من المحرر الوجيز ٢٥٤/٤ بنحوه.

(٣) الصحاح (بسم) ببعضه.

(٤) المحرر الوجيز ٢٥٤/٤.

(٥) صحيح مسلم (٦٧٠) و(٢٣٢٢). وأخرجه أحمد (٢٠٨٤٤).

(٦) أي: أثنخ فيهم، وعمل فيهم ما تفعله النار. وقد يكون معناه: إغاظهم. إكمال المعلم ٤٢٣/٧.

(٧) صحيح مسلم (٢٤١٢).

أحواله يتبسم، وكان أيضاً يضحك في أحوالٍ أُخَرَ ضِحْكَاً أعلى من التبسم وأقل من الاستغراق الذي تبدو فيه اللّهوات، وكان في النادر عند إفراطٍ تعجبه رُبما ضحك حتى بدت نواجذُه. وقد كره العلماء منه الكثرة، كما قال لقمان لابنه: يا بني، إياك وكثرة الضحك فإنه يُميت القلب. وقد روي مرفوعاً من حديث أبي ذرٍّ وغيره^(١). وضحك النَّبِيِّ ﷺ حتى بدت نواجذُه حين رمى سعد^(٢) الرجل فأصابه، إنما كان سروراً بإصابته لا بانكشاف عورته؛ فإنه المنزّه عن ذلك ﷺ.

السادسة: لا اختلاف عند العلماء أن الحيوانات كلها لها أفهامٌ وعقول. وقد قال الشافعي: الحمامُ أعقلُ الطير^(٣). قال ابن عطية^(٤): والنملُ حيوانٌ فطنٌ قويٌّ شمّامٌ جدّاً، يدخِرُ ويتخذُ القري، ويشقُّ الحبَّ بقطعتين لثلاً ينبت، ويشقُّ الكزبرةَ بأربع قطع؛ لأنها تنبت إذا قُسمت شِقتين، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي سائرَه غُدّة. قال ابن العربي^(٥): وهذه غوامض^(٦) العلوم عندنا، وقد أدركتها النملُ بِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ لها؛ قال الأستاذ أبو المظفر شاهنور الإسفرايني: ولا يبعد أن تُدرِك البهائمُ حدوثَ العالم، وحدثَ المخلوقات، ووحدانية الإله، ولكننا لا نفهمُ عنها ولا نفهمُ عنّا، أمّا أنا نطلبها وهي تفرُّ مِنّا فيحكم الجنسية.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيْكَ﴾ ذ «أن» مصدرية. و«أوزعني» أي: ألهمني ذلك. وأصله من وزع، فكأنه قال: كُفني عما يُسَخِّط^(٧).

(١) أخرجه أحمد (٨٠٩٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) في (م): سعداً.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٣٧.

(٤) في المحرر الوجيز ٤/٢٥٣.

(٥) في أحكام القرآن ٣/١٤٣٧.

(٦) في النسخ: خواص، والمثبت من أحكام القرآن.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/١١٢-١١٣ بنحوه.

وقال محمد بن إسحاق: يزعم أهل الكتاب أن أم سليمان هي امرأة أوريا التي امتحن الله بها داود، أو أنه بعد موت زوجها تزوجها داود فولدت له سليمان عليه السلام. وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «ص»^(١) إن شاء الله تعالى.

﴿وَأَدخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: مع عبادك. عن ابن زيد^(٢). وقيل: المعنى: في جملة عبادك الصالحين^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ ﴿٢١﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي إِسْطَلْنِي مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ فَكَفَّتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَحِجَّتِكَ مِنْ سَيِّئٍ بِنَاءٍ يُفِينُ ﴿٢٣﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَثَ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنَ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٧﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾﴾

فيه ثمانية عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ ذكر شيئاً آخر مما جرى له في مسيره الذي كان فيه من النمل ما تقدم. والتفقّد: تطلّب ما غاب عنك من شيء. والطيْر: اسم جامع، والواحد طائر، والمراد بالطير هنا جنس الطير وجماعتها. وكانت تصحبُه في سفره وتظله بأجنحتها^(٤). واختلّف الناس في معنى تفقّده للطير، فقالت فرقة: ذلك

(١) عند تفسير الآية (٢١) منها.

(٢) مجمع البيان ٢٠٨/١٩. وأخرجه الطبري ٢٩/١٨.

(٣) الوسيط ٣/٣٧٣.

(٤) الوسيط ٣/٣٧٣، وزاد المسير ١٦٣/٦.

بحسب ما تقتضيه العناية بأمر الملك، والتَّهْمُ بِكل جزءٍ منها، وهذا ظاهر الآية. وقالت فرقة: بل تَفَقَّدَ الطيرَ لأنَّ الشمسَ دخلت من موضع الهدُّدِ حين غاب، فكان ذلك سببَ تَفَقُّدِ الطير؛ ليتبيَّنَ من أين دخلت الشمس. وقال عبد الله بن سلام: إنما طلبَ الهدُّدَ لأنه احتاجَ إلى معرفة الماء على كم هو من وجه الأرض؛ لأنه كان نزل في مفازةٍ عُدِمَ فيها الماء، وأنَّ الهدُّدَ كان يرى باطنَ الأرضِ وظاهرها؛ فكان يُخبرُ سليمانَ بموضع الماء، ثم كانتِ الجِنُّ تُخرِجُه في ساعةٍ يسيرة، تَسَلِّحُ عنه وجهَ الأرض كما تُسَلِّحُ الشاة. قاله ابن عباس فيما روى عن ابن سلام^(١). قال أبو مجلز: قال ابن عباس لعبد الله بن سلام: أريدُ أن أسألك عن ثلاثِ مسائل. قال: أتسألني وأنتَ تقرأ القرآن؟ قال: نعم. ثلاث مرات. قال: لِمَ تَفَقَّدَ سليمانُ الهدُّدَ دون سائرِ الطير؟ قال: احتاج إلى الماء ولم يعرفْ عمقَه - أو قال: مسافته - وكان الهدُّدُ يعرفُ ذلك دونَ سائرِ الطير فتفقَّده^(٢). وقال في كتاب النَّقَّاش: كان الهدُّدُ مهندساً. وروى أن نافع بن الأزرق سمعَ ابنَ عباسٍ يذكر شأنَ الهدُّدِ فقال له: قِفْ يا وقَّاف، كيف يرى الهدُّدُ باطنَ الأرض وهو لا يرى الفَحَّ حين يقع؟! فقال له ابن عباس: إذا جاء القَدْرُ عَمِيَ البصر^(٣). وقال مجاهد: قيل لابن عباس: كيف تَفَقَّدَ الهدُّدُ من الطير؟ فقال: نزل منزلاً ولم يَدْرِ ما بُعِدَ الماء، وكان الهدُّدُ مهتدياً إليه، فأراد أن يسأله. قال مجاهد: فقلت: كيف يهتدي والصبيُّ يَضَعُ له الحَبَّالَةَ فيصيده؟! فقال: إذا جاء القَدْرُ عَمِيَ البصر^(٤). قال ابن العربي^(٥): ولا يقدرُ على هذا الجواب إلا عالمُ القرآن.

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٥٥.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/١٢٢-١٢٣، وأخرجه ابن أبي شيبة ١١/٥٦٦-٥٦٧، وأخرجه بنحوه الطبري ١٨/٣٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٥٥. وأثر ابن عباس أخرجه الطبري ١٨/٣٠، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢١٣).

(٤) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢١١).

(٥) في أحكام القرآن ٣/١٤٤٣.

قلت: هذا الجواب قد قاله الهذهد لسليمان كما تقدّم. وأنشدوا:

إذا أراد الله أمراً بامرئ وكان ذا عقلٍ ورأيٍ ونظرٍ
وحيلةٍ يعملها في دفع ما يأتي به مكروه أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله وسله من ذهنه سلّ الشعز
حتى إذا أنفذ فيه حكمه ردّ عليه عقله ليعتبر

قال الكلبي: لم يكن في مسيره إلا هذهد واحد. والله أعلم.

الثانية: في هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم. فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك. ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته؛ قال: لو أن سخله على شاطئ الفرات أخذها الذئب لئسأل عنها عمر^(١). فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان^(٢). وفي الصحيح عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرخ^(٣) لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. الحديث^(٤). قال علماؤنا: كان هذا الخروج من عمر بعد ما فتح بيت المقدس سنة سبع عشرة على ما ذكره خليفة بن خياط، وكان يتفقد أحوال رعيته وأحوال أمرائه بنفسه^(٥). فقد دلّ القرآن والسنة وبيننا ما يجب على الإمام من تفقد أحوال رعيته، ومباشرة ذلك بنفسه، والسفر إلى ذلك وإن طال. ورحم الله ابن المبارك حيث يقول:

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/١٣٧، والبيهقي في الشعب (٧٤١٥) عن الأوزاعي قال: بلغني أن عمر ابن الخطاب قال ... فذكره بنحوه. إسناده فيه انقطاع.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٤٢.

(٣) سرخ: قرية بوادي تبوك. وقيل: هي آخر عمل الحجاز الأول. وقيل: مدينة بالشام. إكمال المعلم ٦/١٣٦.

(٤) صحيح البخاري (٥٧٢٩)، وصحيح مسلم (٢٢١٩) (٩٨). وأخرجه أحمد (١٦٨٣).

(٥) المفهم ٥/٦١٥.

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها^(١)
 الثالثة: قوله تعالى: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ أي: ما لي لِهْدْهَدٍ لا أراه، فهو من
 القَلْبِ الذي لا يُعْرَفُ معناه، وهو كقولك: ما لي أراك كثيراً؟ أي: ما لك؟ والِهْدْهَدُ:
 طيرٌ معروف^(٢)، وَهْدَهْدَتُهُ صوتُهُ. قال ابن عطية^(٣): إِنَّمَا مَقْصِدُ الْكَلَامِ: الْهَدْهَدُ غَابَ
 لِكُنْه أَخَذَ اللَّازِمَ عَنْ مَعْنِيهِ وَهُوَ أَنْ لَا يَرَاهُ، فَاسْتَفْهَمَ عَلَى جِهَةِ التَّوْقِيفِ عَلَى اللَّازِمِ،
 وَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ الْإِيجَازِ، وَالِاسْتَفْهَامُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا لِيَ﴾ نَابَ مَنَابَ الْأَلْفِ الَّتِي
 تَحْتَاجُهَا أُمٌّ. وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾؛ لِأَنَّهُ اعْتَبَرَ حَالَ نَفْسِهِ، إِذْ
 عَلِمَ أَنَّهُ أُوْتِيَ الْمُلْكَ الْعَظِيمَ، وَسُخِّرَ لَهُ الْخَلْقَ، فَقَدْ لَزِمَهُ حَقُّ الشُّكْرِ بِإِقَامَةِ الطَّاعَةِ
 وَإِدَامَةِ الْعَمَلِ^(٤)، فَلَمَّا فَقَدَ نِعْمَةَ الْهَدْهَدِ تَوَقَّعَ أَنْ يَكُونَ قَصَّرَ فِي حَقِّ الشُّكْرِ، فَلَأَجَلَهُ
 سَلَبَهَا فَجَعَلَ يَتَفَقَّدُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: ﴿مَا لِيَ﴾. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ^(٥): وَهَذَا يَفْعَلُهُ شَيْخُ
 الصُّوفِيَةِ إِذَا فَقَدُوا مَا لَهُمْ^(٦)، تَفَقَّدُوا أَعْمَالَهُمْ، هَذَا فِي الْأَدَابِ، فَكَيْفَ بَنَى الْيَوْمَ
 وَنَحْنُ نَقْصُرُ فِي الْفَرَائِضِ!؟

وقرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ مُحَيِّصِنٍ وعاصمٌ والكسائيُّ وهشامٌ وأيوبُ: «مَا لِي» بفتح
 الياء، وكذلك في «يس» [الآية: ٢٢]: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾. وَأَسْكَنَهَا حَمْزَةً
 ويعقوبُ. وقرأ الباقون المدنيون وأبو عمرو بفتح التي في «يس»، وإسكان هذه^(٧).
 قال أبو عمرو: لأن هذه التي في «النمل» استفهام، والأخرى انتفاء. واختار أبو حاتم

(١) سلف ١٧٧/١٠ .

(٢) تفسير البغوي ٤١٢/٣ ، وزاد المسير ١٦٣/٦ .

(٣) في المحرر الوجيز ٢٥٥/٤ .

(٤) في (د) و(ز): للعَدَلِ، وفي (ظ) و(م): العَدْلُ. والمثبت من المحرر الوجيز.

(٥) في أحكام القرآن ١٤٤٢/٣ .

(٦) في أحكام القرآن: آمالهم.

(٧) السبعة ص ٤٧٩ ، والتيسير ص ٦٨ ، والنشر ١٧٤-١٧٥ .

وأبو عبيد الإسكان «فقال ما لي». وقال أبو جعفر النحاس^(١): زعم قوم أنهم أرادوا أن يُفَرِّقُوا بين ما كان مبتدأً، وبين ما كان معطوفاً على ما قبله، وهذا ليس بشيء، وإنما هي ياء النَّفْسِ، من العربِ من يفتَحُها ومنهم من يُسَكِّنُها، ففرَّوْا باللغتين، واللغة الفصيحة في ياء النَّفْسِ أن تكون مفتوحة؛ لأنها اسمٌ وهي على حرفٍ واحد، وكان الاختيار ألا تُسَكَّنَ فيُجَحَّفَ بالاسم^(٢). ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَكَّائِينَ﴾ بمعنى: أبُل^(٣).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْتِجَنَّه﴾ دليلٌ على أنَّ الحدَّ على قَدْرِ الذَّنْبِ لا على قَدْرِ الجسد، أما إنه يُرْفَقُ بالمحدود في الزمان والصفة^(٤). روي عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج أنَّ تعذيبه للطير كان بأن يَنْتَفِ ريشه. قال ابن جريج: ريشه أجمع. وقال يزيد بن رومان: جناحه. فعلَ سليمان هذا بالهدهدِ إغلاظاً على العاصين، وعقاباً على إخلاله بنؤبته ورتبته^(٥). وكانَ اللهُ أَباحَ له ذلك، كما أَباح ذبح البهائم والطير للأكل وغيره من المنافع^(٦). والله أعلم. وفي «نوادر الأصول» قال: حدَّثنا سليمان بن حميد أبو الربيع الإيادي، قال: حدَّثنا عون بن عُمارة، عن الحسين الجعفي، عن الزُّبَيْرِ بن الخُرَيْتِ، عن عكرمة، قال: إنَّما صرفَ اللهُ شرَّ سليمانَ عن الهدهدِ لأنَّه كان باراً بوالديه. وسيأتي.

وقيل: تعذيبه أن يُجَعَلَ مع أضداده. وعن بعضهم: أضيَّقَ السجونَ معاشرَةَ الأضداد. وقيل: لَأَلْزَمَنَّهُ خِدْمَةَ أَقْرَانِهِ. وقيل: إيداعه القفص^(٧). وقيل: بأن يجعله

(١) في إعراب القرآن ٢٠٢/٣.

(٢) في (م): الاسم.

(٣) في (د) و(م): بل.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٤٣/٣.

(٥) المحرر الوجيز ٢٥٥/٤. والقول الأول أخرجه الطبري ٣٣/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٢٤) عن ابن عباس ر.ه. وقول يزيد بن رومان أخرجه الطبري ٣٤/١٨، وابن أبي حاتم (١٦٢٢٩).

(٦) الكشف ١٤٣/٣.

(٧) الكشف ١٤٣/٣، وتفسير الرزاي ١٨٩/٢٤، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ١٦٤/٦ القول الأخير عن الثعلبي.

للشمس بعد نطفه^(١). وقيل: بتبعيده عن خدمتي، والملوك يؤدّبون بالهجران الجسد بتفريق ألفه^(٢).

وهو مؤكّد بالنون الثقيلة، وهي لازمة هي أو الخفيفة. قال أبو حاتم: ولو قرئت: «لَأَعَذَّبْنُهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحْنُهُ» جاز^(٣). ﴿أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة بيّنة^(٤). وليست اللام في «لِيَأْتِنِي» لام القسم؛ لأنه لا يُقسم سليمان على فعل الهدهد، ولكن لما جاء في أثر قوله: «لَأَعَذَّبْنُهُ» وهو مما جاز به القسم أجراه مجراه. وقرأ ابن كثير وحده «لِيَأْتِنِي» بنونين^(٥).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَمَكَتْ عَمْرٌ بَعِيدٍ﴾ أي الهدهد^(٦). والجمهور من القراء على ضم الكاف، وقرأ عاصم وحده بفتحها^(٧). ومعناه في القراءتين أقام^(٨). قال سيبويه: مكّت يمكّت مكوّناً كما قالوا: قعد يقعد قعوداً. قال: ومكّت مثل ظرّف^(٩). قال غيره: والفتح أحسن؛ لقوله تعالى: ﴿مَكَثِينَ﴾ [الكهف: ٣] إذ هو من مكّت؛ يقال: مكّت يمكّت فهو ماكّت، ومكّت يمكّت مثل عظم يعظم فهو مكيت؛ مثل عظيم. ومكّت يمكّت فهو ماكّت، مثل حمض يحمض فهو حامض.

والضمير في «مكّت» يَحْتَمِلُ أن يكون لسليمان^(١٠)، والمعنى: بقي سليمان بعد

(١) معاني القرآن للنحاس ١٢٤/٥، وزاد المسير ١٦٤/٦ عن عبد الله بن شداد.

(٢) ذكر هذا المعنى البغوي ٤١٢/٣، والزمخشري في الكشاف ١٤٣/٣.

(٣) إعراب القرآن ٢٠٢/٣.

(٤) معاني القرآن للنحاس ١٢٤/٥.

(٥) السبعة ص ٤٧٩، والتيسير ص ١٦٧.

(٦) النكت والعيون ٢٠٢/٤.

(٧) السبعة ص ٤٨٠، والتيسير ص ١٦٧.

(٨) المحرر الوجيز ٢٥٥/٤.

(٩) إعراب القرآن ٢٠٣/٣.

(١٠) المحرر الوجيز ٢٥٥/٤.

التفقد والوعيد غير طويل، أي: غير وقتٍ طويل^(١). ويَحْتَمِلُ أن يكون للهدهد^(٢) وهو الأكثر. فجاء: ﴿فَقَالَ أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ وهي:

السادسة: أي: علمتُ ما لم تعلمه من الأمر^(٣)، فكان في هذا ردُّ على مَنْ قال: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَعَلَّمُ الْغَيْبَ. وحكى الفراء «أَحَطُّ» يُدْغِمُ النَّاءَ فِي الطَّاءِ. وحكى «أَحَتْ» بقلب الطاء تاءً وتُدْغِمُ^(٤).

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَجِئْتِكَ مِنْ سَبِيلٍ يَبِينُ﴾ أَعْلَمَ سليمان ما لم يكن يعلمه، ودفع عن نفسه ما توعدّه من العذاب والذبح. وقرأ الجمهور: «سبيل» بالضِّرف، وابن كثير وأبو عمرو: «سَبَأً» بفتح الهمزة وتَرْكُ الضِّرف^(٥)، فالأوَّلُ على أَنَّهُ اسْمُ رَجُلٍ نُسِبَ إِلَيْهِ قَوْمٌ، وعليه قول الشاعر:

الواردونَ وتَيَمُّمٌ فِي ذُرَا سَبِيلٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ^(٦)
وأنكر الزَّجَّاجُ أن يكونَ اسْمَ رَجُلٍ، وقال: «سبأ»: اسْمُ مَدِينَةٍ تُعْرَفُ بِمَأْرَبٍ بِالْيَمَنِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَنْعَاءَ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ.

قلتُ: وقع في عيون المعاني للغزنوي: ثلاثة أميال. قتادة والسدي: بعث إليه اثنا عشر نبياً^(٧). وأنشد للنابغة الجعدي^(٨):

مَنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا
قال: فمن لم يصرف قال: إِنَّهُ اسْمُ مَدِينَةٍ، وَمَنْ صَرَفَ وَهُوَ الْأَكْثَرُ فَلَأَنَّهُ اسْمُ

(١) مجمع البيان ٢١٣/١٩ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٥٥/٤ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) إعراب القرآن ٢٠٣/٣ ، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢٨٩/٢ .

(٥) السبعة ص ٤٨٠ ، والتيسير ص ١٦٧ .

(٦) المحرر الوجيز ٢٥٥/٤ ، والبيت قائله جرير، وسلف ٣٣٤/١٢ .

(٧) من قوله: وقع في... إلى هنا من (م).

(٨) في ديوانه ص ١٣٤ ، ويُنسب البيت أيضاً إلى امرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٩٠ .

البلد، فيكون مُذَكَّرًا سُمِّيَ به مُذَكَّرٌ^(١). وقيل: اسم امرأة سُمِّيَتْ بها المدينة^(٢).
والصحيح أنه اسمُ رجل^(٣)، كذلك في كتاب الترمذي من حديث فَرْوَةَ بنِ مُسَيْكٍ
المرادي عن النبي ﷺ، وسيأتي إن شاء الله تعالى^(٤). قال ابن عطية: وَخَفِيَ هَذَا
الْحَدِيثُ عَلَى الرَّجَّاجِ فَخَبِطَ عَشْوَاءَ^(٥). وَزَعَمَ الْفَرَّاءُ أَنَّ الرَّؤَاسِيَّ سَأَلَ أَبَا عَمْرٍو بْنِ
الْعَلَاءِ عَنْ سَبَابِ فَقَالَ: مَا أَدْرِي مَا هُوَ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَتَأَوَّلَ الْفَرَّاءُ عَلَى أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ
مَنْعَهُ مِنَ الصَّرْفِ لِأَنَّهُ مَجْهُولٌ، وَأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الشَّيْءَ لَمْ يَنْصَرِفْ. وَقَالَ النَّحَّاسُ:
وَأَبُو عَمْرٍو أَجَلُّ مَنْ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا، وَلَيْسَ فِي حِكَايَةِ الرَّؤَاسِيَّ عَنْهُ دَلِيلٌ أَنَّهُ إِنَّمَا
مَنْعَهُ مِنَ الصَّرْفِ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَإِنَّمَا قَالَ: لَا أَعْرِفُهُ، وَلَوْ سُئِلَ نَحْوِيُّ عَنْ اسْمِ
فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ، لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الصَّرْفِ، بَلِ الْحَقُّ عَلَى غَيْرِ
هَذَا، وَالْوَاجِبُ إِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ أَنْ يَصْرِفْهُ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الْأَسْمَاءِ الصَّرْفُ، وَإِنَّمَا يُمْنَعُ
الشَّيْءُ مِنَ الصَّرْفِ لِعَلَّةٍ دَاخِلَةٍ عَلَيْهِ، فَالْأَصْلُ ثَابِتٌ بَيِّقِينَ فَلَا يَزُولُ بِمَا لَا يُعْرَفُ. وَذَكَرَ
كَلَامًا كَثِيرًا عَنِ النَّحَّاءِ وَقَالَ فِي آخِرِهِ: وَالْقَوْلُ فِي «سَبَابِ» مَا جَاءَ التَّوْقِيفُ فِيهِ أَنَّهُ فِي
الْأَصْلِ اسْمُ رَجُلٍ، فَإِنْ صَرَفْتَهُ فَلِأَنَّهُ قَدْ صَارَ اسْمًا لِلْحَيِّ، وَإِنْ لَمْ تَصْرِفْهُ جَعَلْتَهُ اسْمًا
لِلْقَبِيلَةِ مِثْلَ ثَمُودَ، إِلَّا أَنَّ الْاِخْتِيَارَ عِنْدَ سَبْيُوهِهِ الصَّرْفُ، وَحُجَّتُهُ فِي ذَلِكَ قَاطِعَةٌ؛ لِأَنَّ
هَذَا الْاسْمَ لَمَّا كَانَ يَقَعُ لَهُ التَّذْكِيرُ وَالتَّنَائِيثُ كَانَ التَّذْكِيرُ أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَالْأَخْفُ^(٦).

الثامنة: وفي الآية دليلٌ على أَنَّ الصَّغِيرَ يَقُولُ لِلْكَبِيرِ وَالمْتَعَلِّمَ للعَالِمِ: عِنْدِي مَا
لَيْسَ عِنْدَكَ، إِذَا تَحَقَّقَ ذَلِكَ وَتَبَيَّنَتْهُ^(٧). هَذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَعَ جَلَالَتِهِ - ﷺ - وَعَلِمِهِ

(١) معاني القرآن للزجاج ١١٤/٤ .

(٢) النكت والعيون ٢٠٣/٤ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١١٤/٤ .

(٤) عند تفسير الآية (١٥) من سورة سبأ، والحديث في سنن الترمذي (٣٢٤٢).

(٥) المحرر الوجيز ٢٥٦/٤ .

(٦) إعراب القرآن ٢٠٣/٣-٢٠٤ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٤٤/٣ .

لم يكن عنده علمٌ بالاستئذان. وكان علمُ التيمم عند عمّارٍ وغيره، وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالوا: لا يتيمّم الجُنُب. وكان حكم الإذن في أن تنفِرَ الحائضُ عند ابن عباس، ولم يعلمه عمرٌ ولا زيدُ بن ثابت. وكان غَسْلُ رأسِ المُحَرِّمِ معلوماً عند ابن عباس وخفِي عن المسوّر بن مخرمة. ومثله كثيرٌ فلا يطوّلُ به.

التاسعة: قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ لَمَّا قَالَ الْهَدَّهِدُ: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَكٍ مِّنْ مَّاءٍ يَبْرِقُ فِيهِ﴾ قال سليمان: وما ذلكَ الخبر؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني بلقيس بنت شراحيل تملكُ أهل سبأ^(١). ويُقال: كيف خَفِيَ على سليمان مكانها وكانت المسافةُ بين مَحْطِهِ وبين بلدها قريبة، وهي من مسيرة ثلاثٍ بين صنعاء ومأرب؟ والجواب: أنَّ الله تعالى أخفى ذلك عنه لمصلحة، كما أخفى على يعقوب مكان يوسف^(٢). ويروى أنَّ أحدَ أبويها كان من الجنِّ^(٣). قال ابن العربي^(٤): وهذا أمرٌ تُنكره المُلحدَّة، ويقولون: الجنُّ لا يأكلون ولا يلدون، كذبوا لعنهم الله أجمعين، ذلك صحيحٌ، ونكاحهم جائزٌ عقلاً، فإن صحَّ نقلاً فيها ونعمت.

قلتُ: خرَّج أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال: قَدِيمٌ وفدٌ من الجنِّ على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، انه أمتك أن يستنجوا بعظمٍ أو روثية أو حُمَّة^(٥)، فإنَّ الله تعالى جاعِلٌ لنا فيها رزقاً^(٦). «وفي صحيح مسلم»: فقال «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ قَرَّ مَا يَكُونُ لِحِمْماً، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفَتْ

(١) المصدر السابق، والنكت والعيون ٢٠٣/٤.

(٢) الكشف ١٤٤/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٤٩) عن قتادة، وذكر الماوردي في النكت والعيون ٢٠٣/٤ أن أمها جنيّة، واسمها فارعة، وأنها بنت أربعين ملكاً.

(٤) في أحكام القرآن ١٤٤٤/٣.

(٥) في النسخ: جمجمة، والمثبت من سنن أبي داود. والحُمَّمُ: الفحم وما أحرِقَ من الخشب والعظام ونحوهما. معالم السنن ٢٧/١.

(٦) سنن أبي داود (٣٩).

لِدَوَابِّكُمْ» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعامُ إخوانكم الجن»^(١) وفي البخاري من حديث أبي هريرة قال: فقلتُ: ما بال العَظْمِ والرَّوْثَةِ؟ فقال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفدُ جنِّ نصيبين - ونعمَ الجنُّ - فسألوني الزَّادَ، فدعوتُ اللهَ تعالى ألا يمروا بعظمٍ ولا روثَةٍ إلا وجدوا عليها طعاماً»^(٢). وهذا كلُّه نصٌّ في أنهم يطعمون، وأما نكاحهم فقد تقدَّمتِ الإشارةُ إليه في «سبحان» عند قوله: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الآية: ٦٤]. وروى وهيب بن جرير بن حازم، عن الخليل بن أحمد، عن عثمان بن حاضر قال: كانت أم بلقيس من الجن يُقال لها بلقمة^(٣) بنت شيسان^(٤). وسيأتي لهذا مزيدُ بيانٍ إن شاء الله تعالى.

العاشرة: روى البخاريُّ من حديث أبي بكر^(٥) أن النبي ﷺ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ فارس قد ملَّكوا بنتَ كسرى قال: «لن يُفْلِحَ قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة»^(٦) قال القاضي أبو بكر بن العربي^(٧): هذا نصٌّ في أن المرأة لا تكون خليفةً، ولا خلاف فيه، ونُقِلَ عن محمد بن جرير الطبري أنه يُجَوِّزُ أن تكون المرأة قاضيةً، ولم يصحَّ ذلك عنه، ولعلَّه نُقِلَ عنه كما نُقِلَ عن أبي حنيفة أنها إنما تقضي فيما تشهد فيه وليس بأن تكون قاضيةً على الإطلاق، ولا بأن يُكْتَبَ لها مسطور^(٨) بأن فلانة مُقدِّمةٌ على الحُكْمِ، وإنما سبيلُ ذلك التحكيم^(٩) والاستنابةُ في القضية الواحدة، وهذا هو الظنُّ بأبي حنيفة

(١) صحيح مسلم (٤٥٠). وأخرجه أحمد (٤١٤٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٨٦٠).

(٣) في (د): تلعة، وفي (م): بلعمة. والمثبت من (ز) و(ظ)، وهو الموافق لما في الدر المنثور.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٥/٥ إلى الحكيم الترمذي وابن مردويه.

(٥) تحرف في النسخ إلى: ابن عباس. والتصويب من صحيح البخاري.

(٦) صحيح البخاري (٤٤٢٥)، وسلف ٤٢/٢.

(٧) في أحكام القرآن ١٤٤٥-١٤٤٦.

(٨) في أحكام القرآن: منشور.

(٩) في (ظ) وأحكام القرآن: ذلك كسبيل التحكيم.

وابن جرير. وقد روي عن عمر أنه قدم امرأة على حِسبة السوق، ولم يصحَّ فلا تلتفتوا إليه، فإنما هو من دسائس^(١) المبتدعة في الأحاديث. وقد تناظر في هذه المسألة القاضي أبو بكر بن الطيب المالكي الأشعري مع أبي الفرج بن طرار شيخ الشافعية، فقال أبو الفرج: الدليل على أن المرأة يجوز أن تحكم أن الغرض من الأحكام تنفيذ القاضي لها، وسماع البيّنة عليها، والفصل بين الخصوم فيها، وذلك ممكن من المرأة كماكانه من الرجل. فاعترض عليه القاضي أبو بكر، ونقض كلامه بالإمامة الكبرى؛ فإن الغرض منه حفظ الثغور، وتدبير الأمور، وحماية البيضة، وقبض الخراج وردّه على مستحقّه، وذلك لا يتأتى من المرأة كتأتيه من الرجل. قال ابن العربي: وليس كلام الشيخين في هذه المسألة بشيء؛ فإن المرأة لا يتأتى منها أن تبرز إلى المجلس، ولا تخالط الرجال، ولا تفاوضهم مفاوضة النّظير للنّظير؛ لأنها إن كانت فتاة حرم النّظر إليها وكلامها، وإن كانت برزة^(٢) لم يجمعها والرجال مجلس واحد تزدجم فيه معهم، وتكون مناظرة لهم، ولن يفلح قط من تصوّر هذا ولا من اعتقده.

الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مبالغة، أي: ممّا تحتاجه المملكة^(٣). وقيل: المعنى: أُوتيت من كل شيء في زمانها شيئاً فحذفت المفعول؛ لأنّ الكلام دلّ عليه.

﴿وَلَمَّا عَرَّشَ عَظِيمٌ﴾ أي: سرير^(٤)، ووصفه بالعظيم في الهيئة ورؤية السلطان^(٥). قيل: كان من ذهب تجلس عليه^(٦). وقيل: العرش هنا: الملك^(٧)، والأول أصح؛

(١) في (د) و(ز) و(ظ): وساوس. والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٢) أي: إذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم. اللسان (برز).

(٣) المحرر الوجيز ٢٥٦/٤.

(٤) النكت والعيون ٢٠٤/٤ عن قتادة.

(٥) المحرر الوجيز ٢٥٦/٤.

(٦) زاد المسير ١٦٥/٦ عن قتادة.

(٧) النكت والعيون ٢٠٤/٤ عن ابن بحر، ومجمع البيان ٢١٤/١٩ عن أبي مسلم.

لقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرِيهَا﴾. الزمخشري: فإن قلت: كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم؟ قلت: بين الوصفين بؤن عظيم؛ لأن وُصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى ما خلق من السماوات والأرض^(١). قال ابن عباس: كان طول عرشها ثمانين ذراعاً، وعرضه أربعين ذراعاً، وارتفاعه في السماء ثلاثين ذراعاً، مُكَلَّلٌ بالذُّرِّ والياقوتِ الأحمر، والزُّبرجدِ الأخضر^(٢). قتادة: وقوائمه لؤلؤ وجوهر، وكان مستراً بالديباج والحريز، عليه سبعة مغاليق^(٣). مقاتل: كان ثمانين ذراعاً، في ثمانين ذراعاً^(٤)، وارتفاعه من الأرض ثمانون ذراعاً، وهو مُكَلَّلٌ بالجواهر^(٥). ابن إسحاق: وكان يخدمها النساء، وكان معها لخدمتها ست مئة امرأة^(٦). قال ابن عطية^(٧): واللازم من الآية أنها امرأة مُلْكَتْ على مدائن اليمن، ذات مُلْكٍ عظيم، وسرير عظيم، وكانت كافرةً من قوم كُفَّار.

الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قيل: كانت هذه الأمة ممن يعبد الشمس؛ لأنهم كانوا زنادقة فيما يروى. وقيل: كانوا مجوساً يعبدون الأنوار. وروى عن نافع أن الوقف على «عرش»^(٨). قال المهدوي: فعظيم على هذا متعلق بما بعده، وكان ينبغي على هذا أن يكون: عظيم أن وجدتها،

(١) هذا كلام الرازي في تفسيره ١٩٠/٢٤، وأما كلام الزمخشري فهو في الكشاف ١٤٤/٣ بغير هذا السياق.

(٢) تفسير البغوي ٤١٥/٣، ومجمع البيان ٢١٤/١٩.

(٣) النكت والعيون ٢٠٤/٤.

(٤) قوله: «في ثمانين ذراعاً» من (م).

(٥) تفسير البغوي ٤١٥/٣.

(٦) النكت والعيون ٢٠٤/٤.

(٧) في المحرر الوجيز ٢٥٦/٤.

(٨) المصدر السابق.

أي: عظيم^(١) وجودي إياها كافرة. وقال ابن الأنباري^(٢): ﴿وَلَمَّا عَرَّشَ عَظِيمٌ﴾ وقفت حسن، ولا يجوز أن يقف على «عرش» وبيئدئ «عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا» إلا على من فتح؛ لأنَّ عَظِيمًا نَعَتْ لِلْعَرْشِ^(٣) فلو كان متعلقاً بوجَدْتُهَا لَقُلَّتْ: عظيمة وجدتها، وهذا مُحَالٌ من كلِّ وجه. وقد حدَّثني أبو بكر محمد بن الحسين بن شهریار، قال: حدَّثنا أبو عبد الله الحسين بن الأسود العجليُّ، عن بعض أهل العلم أنه قال: الوقف على «عرش» والابتداء «عظيم» على معنى: عظيمٌ عبادتُهُم الشمسَ والقمر. قال: وقد سمعت مَنْ يُؤَيِّدُ هذا المذهب، وَيَحْتَجُّ بِأَنَّ عَرْشَهَا أَحَقُّ وَأَدْقُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَصِفَهُ اللهُ بِالْعَظِيمِ. قال ابن الأنباري: والاختيارُ عندي ما ذكرته أولاً؛ لأنَّه ليس على إضمارِ عبادةِ الشمسِ والقمرِ دليلٌ. وغيرُ مُنْكَرٍ أَنْ يَصِفَ الْهَدْيُ عَرْشَهَا بِالْعَظِيمِ إِذْ رَأَى مُتْنَاهَا الطَّوِيلَ وَالْعَرَضَ؛ وَجَزَيْهِ عَلَى إِعْرَابِ «عَرْشٍ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ نَعْتُهُ.

﴿وَزَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانُهُمْ﴾ أي: ما لهم فيه من الكفر. ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: عن طريق التوحيد. وبين بهذا أنَّ ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق. ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الله وتوحيده.

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم وحمزة: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ بتشديد «ألا»^(٤)؛ قال ابن الأنباري^(٥): ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ غير تامٍّ لمن شدَّد «ألا»؛ لأنَّ المعنى: وزين لهم الشيطانُ ألا يسجدوا. قال النَّحَّاسُ: هي «أن» دخلت عليها «لا» و«أن» في موضع نصب؛ قال الأخفش: بـ «زين» أي: وزين لهم لئلاً يسجدوا لله. وقال الكسائي: بـ «فصدهم» أي: فصدهم ألا يسجدوا.

(١) كلمة «عظيم» ليست في (م)، وأثبتت من باقي النسخ.

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/٨١٥-٨١٦.

(٣) في (م): لعرش. والمثبت من باقي النسخ.

(٤) السبعة ص ٤٨٠، والتيسير ص ١٦٨.

(٥) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/٨١٦.

وهو في الوجهين مفعولٌ له. وقال اليزيدي وعلي بن سليمان: «أن» بدل من «أعمالهم» في موضع نصب. وقال أبو عمرو: و«أن» في موضع خَفَضِ على البدل من السبيل^(١). وقيل: العامل فيها «لا يَهْتَدُونَ» أي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله، أي: لا يعلمون أن ذلك واجبٌ عليهم. وعلى هذا القول «لا» زائدة^(٢)، كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] أي: ما منعك أن تسجد. وعلى هذه القراءة فليس بموضع سجدة؛ لأن ذلك خبر عنهم بترك السجود، إما بالتزيين، أو بالصد، أو بمنع الاهتداء^(٣).

وقرأ الزهري والكسائي وغيرهما: «أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ»^(٤) بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا؛ لأن «يا» ينادى بها الأسماء دون الأفعال. وأنشد سيبويه:

يا لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سَمْعَانٍ من جَارِ
قال سيبويه: «يا» لغير اللعنة؛ لأنه لو كان للّعنة لَنَصَبَهَا؛ لأنه كان يصير مُنَادَى مُضَافاً، ولكن تقديره: يا هؤلاء، لعنة الله والأقوام على سَمْعَانٍ^(٥). وحكى بعضهم سماعاً عن العرب: ألا يا ارحموا ألا يا اصدقوا. يريدون: ألا يا قوم ارحموا اصدقوا، فعلى هذه القراءة «اسجدوا» في موضع جزمٍ بالأمر، والوقف على «أَلَّا يَا»،

(١) في إعراب القرآن ٢٠٦/٣ بنحوه دون قوله: «وهو في الوجهين مفعول له» وهو في المحرر الوجيز ٢٥٦/٤. وقول الأخفش في معاني القرآن له ٦٤٩/٢.

(٢) البيان ٢٢١/٢، والكشاف ١٤٥/٣.

(٣) هذا معنى قول الفراء في معاني القرآن ٢٩٠/٢.

(٤) قراءة الكسائي في السبعة ص ٤٨٠، والتيسير ص ١٦٧. وذكر النحاس هذه القراءة في معاني القرآن ١٢٦/٥، وإعراب القرآن ٢٠٦/٣ عن الكسائي والزهري وابن عباس وأبي جعفر وأبي عبد الرحمن السلمي والحسن وحמיד الأعرج وطلحة. وزاد عليه ابن الجوزي في زاد المسير ١٦٦/٦: عن قتادة وأبي العالية والأعمش وابن أبي عبيدة.

(٥) معاني القرآن للنحاس ١٢٦/٥، وإعراب القرآن ٢٠٦/٣، وتأويل مشكل القرآن ص ١٧٢. وينظر الكتاب لسبويه ٢١٩/٢-٢٢٠.

ثم تبتدئ فتقول: «اسجدوا»^(١). قال الكسائي [عن عيسى الهمداني قال: ^(٢)]: ما كنتُ أسمعُ الأشياخ يقرؤونها إلا بالتخفيف على نيّة الأمر. وفي قراءة عبد الله: «هلاً^(٣) تسجدون لله» بالتاء والنون. وفي قراءة أبي: «ألا تسجدون لله» فهاتان القراءتان حُجَّةٌ لمن خَفَّفَ^(٤). الزَّجَّاج: وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد^(٥). واختار أبو حاتم وأبو عبيد^(٦) قراءة التشديد. وقال: التخفيف وجهٌ حسنٌ إلا أن فيه انقطاع الخبر من أمر سبأ، ثم رجع بعدُ إلى ذكرهم، والقراءة بالتشديد خبرٌ يتبع بعضه بعضاً لا انقطاع في وسطه^(٧). ونحوه قال النحاس؛ قال: قراءة التخفيف بعيدة؛ لأن الكلام يكون معترضاً، وقراءة التشديد يكون الكلام بها مُتَّسِقاً، وأيضاً فإنَّ السَّواد على غير هذه القراءة؛ لأنه قد حُذِفَ منها ألفان، وإنما يُختَصَرُ مثلُ هذا بحذف ألفٍ واحدةٍ نحو: يا عيسى بن مريم^(٨). ابن الأنباري: وسقطت ألفُ «اسجدوا» كما تسقط مع هؤلاء إذا ظهر، ولما سقطت ألفُ «يا» واتصلت بها ألفُ «اسجدوا» سقطت، فعدَّ سقوطها دلالةً على الاختصار وإثارةً لما يخفُّ وتقلُّ ألفاظه. وقال الجوهرى في آخر كتابه^(٩): قال بعضهم: إن «يا» في هذا الموضع إنما هو للتنبيه، كأنه قال: ألا اسجدوا لله، فلما أدخل عليه «يا» للتنبيه سقطت الألف التي

(١) تفسير البغوي ٤١٥/٣ بنحوه.

(٢) ما بين حاصرتين ليس في النسخ، وأثبت من معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢.

(٣) في (ظ): «هل»، وفي (م): «ألا هل»، والمثبت من (د) و(ز)، وهو الموافق لما في معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢، وإيضاح الوقف والابتداء ١٧٤/١، والكشاف ١٤٥/٣.

(٤) من قوله: قال الكسائي... إلى هذا الموضع من معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢. قلنا: وكلا القراءتين شاذتان لا حجة فيهما.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١١٥/٤.

(٦) المثبت من (ظ)، وفي بقية النسخ: أبو عبيدة.

(٧) نقله عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١٧٣/١-١٧٤.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢٠٧/٣.

(٩) الصحاح (با).

في «اسجدوا»؛ لأنها أَلِفٌ وَضَلٌ، وذهبت الألفُ التي في «يا» لاجتماع الساكنين؛ لأنها والسين ساكتان. قال ذو الرِّمَّة (١):

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مِي عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجِرْعَائِكَ الْقَطْرُ

وقال الجرجاني: هو كلامٌ معترضٌ من الهدهدِ أو سليمانَ أو من الله (٢). أي: لا يسجدوا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٤] قيل: إنه أمرٌ، أي: ليغفروا. وتتنظم على هذا كتابة المصحف، أي: ليس هاهنا نداء. قال ابن عطية (٣): قيل هو من كلام الهدهد إلى قوله: «العظيم» وهو قول ابن زيد وابن إسحاق، ويُعترضُ بأنه غيرُ مخاطبٍ فكيف يتكلم في معنى شرع؟! ويحتملُ أن يكون من قول سليمانَ لما أخبره الهدهد عن القوم. ويحتملُ أن يكون من قول (٤) الله تعالى، فهو اعتراضٌ بين الكلامين، وهو الثابتُ مع التأمل، وقراءة التشديد في «ألا» تُعطي أن الكلامَ للهدهد، وقراءة التخفيف تمنعه، والتخفيف يقتضي الأمرَ بالسجود لله عزَّ وجلَّ للأمرِ على ما بيَّناه. وقال الزمخشري (٥): فإن قلت: أسجدة التلاوة واجبةٌ في القراءتين جميعاً أم في إحداهما؟ قلتُ: هي واجبةٌ فيهما جميعاً؛ لأنَّ مواضع السجدة إمَّا أمرٌ بها، أو مدحٌ لمن أتى بها، أو ذمٌّ لمن تركها، وإحدى القراءتين أمرٌ بالسجود والأخرى ذمٌّ للتارك.

قلتُ: وقد أخبر الله عن الكفار بأنهم لا يسجدون كما في «الانشقاق»، وسجد النبي ﷺ فيها، كما ثبت في البخاري وغيره (٦)، فكذلك «النمل». والله أعلم. الزمخشري (٧): وما ذكره الزجاجُ من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغيرُ

(١) في ديوانه ٥٥٩/١.

(٢) وذكر هذا الكلام الطبرسي في مجمع البيان ٢١٥/١٩.

(٣) في المحرر الوجيز ٢٥٦/٤.

(٤) كلمة «قول» من (م) والمحرر الوجيز.

(٥) في الكشف ١٤٥/٣.

(٦) صحيح البخاري (٧٦٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وأخرجه أحمد (٧١٤٠)، ومسلم (٥٧٨).

(٧) في الكشف ١٤٥/٣.

مَرْجُوعٍ إِلَيْهِ.

﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ خَبْءُ السَّمَاءِ: قَطْرُهَا، وَخَبْءُ الْأَرْضِ: كَنْوُزُهَا وَنَبَاتُهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْخَبْءُ: السَّرُّ. النَّحَّاسُ: وَهَذَا أَوْلَى. أَي: مَا غَاب فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(١). وَقَرَأَ عِكْرَمَةُ وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: «الْخَبْءُ» بِفَتْحِ الْبَاءِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ^(٢). قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَهُوَ التَّخْفِيفُ الْقِيَاسِيُّ، وَذُكِرَ مَنْ يَتْرُكُ الْهَمْزَ فِي الْوَقْفِ. وَقَالَ النَّحَّاسُ^(٣): وَحَكَى أَبُو حَاتِمٍ أَنَّ عِكْرَمَةَ قَرَأَ: «الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ» بِأَلْفٍ غَيْرِ مَهْمُوزَةٍ^(٤)، وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَاعْتَلَّ بِأَنَّهُ إِنْ خَفَّفَ الْهَمْزَةَ أَلْقَى حَرَكَتَهَا عَلَى الْبَاءِ وَحَذَفَهَا^(٥) فَقَالَ: «الْخَبْءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» وَأَنَّهُ إِنْ حَوَّلَ الْهَمْزَةَ قَالَ: الْخَبْيُ بِإِسْكَانِ الْبَاءِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَسَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ سَلِيمَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ يَقُولُ: كَانَ أَبُو حَاتِمٍ دُونَ أَصْحَابِهِ فِي النَّحْوِ وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ لَمْ يُلْقَ أَعْلَمَ مِنْهُ. وَحَكَى سَيَّبِيُّهُ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهَا تُبَدَّلُ مِنَ الْهَمْزَةِ أَلْفًا إِذَا كَانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ وَكَانَتْ مَفْتُوحَةً، وَتُبَدَّلُ مِنْهَا وَاوًا إِذَا كَانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ وَكَانَتْ مَضْمُومَةً، وَتُبَدَّلُ مِنْهَا يَاءً إِذَا كَانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ وَكَانَتْ مَكْسُورَةً، فَتَقُولُ: هَذَا الْوَثُو^(٦)، وَعَجِبْتُ مِنَ الْوَثِيِّ، وَرَأَيْتُ الْوَثَا، وَهَذَا مِنْ وَثَيْتِ يَدِهِ، وَكَذَلِكَ هَذَا الْخَبْوُ، وَعَجِبْتُ مِنَ الْخَبْيِيِّ، وَرَأَيْتُ الْخَبْيَا؛ وَإِنَّمَا فُعِلَ هَذَا لِأَنَّ الْهَمْزَةَ خَفِيفَةً، فَأُبَدِّلُ مِنْهَا هَذِهِ الْحُرُوفَ. وَحَكَى سَيَّبِيُّهُ عَنِ قَوْمٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي أَسَدٍ يَقُولُونَ: هَذَا الْخَبْوُ، يَضْمُونَ السَّاكِنَ إِذَا كَانَتْ الْهَمْزَةُ مَضْمُومَةً،

(١) معاني القرآن للنحاس ١٢٧/٥.

(٢) الشاذة ص ١٠٩ عن عيسى: وهو ابن عمر الهمداني، والمحمر الوجيز ٢٥٦/٤ عن أبي بن كعب.

(٣) في إعراب القرآن ٢٠٧/٣-٢٠٨.

(٤) المحمر الوجيز ٢٥٦/٤، وذكرها ابن خالويه في الشاذة ص ١٠٩ عن مالك بن دينار، وسترده قريباً من قراءة ابن مسعود.

(٥) كلمة «وحذفها» ليست في (م).

(٦) والوثة: الضرب حتى يَرْهَصَ الجلدُ اللحمُ ويصل الضربُ إلى العظم من غير أن ينكسر. اللسان (وثة).

ويُثَبِّتُونَ الهمزة ويكسرون الساكن إذا كانت الهمزة مكسورة، ويفتحون الساكن إذا كانت الهمزة مفتوحة. وحكى سيبويه أيضاً أنهم يكسرون وإن كانت الهمزة مضمومة، إلا أن هذا عن بني تميم، فيقولون: الرِّدْيُءُ، وزعم أنهم لم يَضْمُوا الدَّالَّ لأنَّهم كرهوا ضمة ما قبلها كسرة؛ لأنه ليس في الكلام فِعْلٌ. وهذه كلها لغات داخلَةٌ على اللغة التي قرأ بها الجماعة.

وفي قراءة عبد الله «الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ» و«من» و«في» يتعاقبان؛ تقول العرب: لأستخرجنَّ العِلْمَ فيكم يريدُ منكم. قاله الفراء^(١). ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ قراءة العامة فيهما بياء الغائب^(٢)، وهذه القراءة تعطي أن الآية من كلام الهدهد^(٣)، وأن الله تعالى خصَّه من المعرفة بتوحيده ووجوب السجود له، وإنكار سجودهم للشمس، وإضافته للشيطان، وتزيينه لهم، ما خصَّ به غيره من الطيور وسائر الحيوان؛ من المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقول الراجحة تهتدي لها. وقرأ الجحدريُّ وعيسى بن عمر وحفص والكسائي: «تُخْفُونَ» و«تُعْلِنُونَ» بالتاء على الخطاب، وهذه القراءة^(٤) تعطي أن الآية من خطاب الله عز وجل لأمة محمد ﷺ^(٥). ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ قرأ ابن محيصن: «العظيم» رفعا^(٦) نعتاً لله. الباقون: بالخفض نعتاً للعرش. وخصَّ بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، وما عداه في ضمنه وقبضته^(٧).

(١) في معاني القرآن له ٢٩١/٢. وقراءة عبد الله بن مسعود في الشاذة ص ١٠٩، وذكرها المصنف قريباً عن عكرمة.

(٢) كلمة «الغائب» من (م).

(٣) المحرر الوجيز ٢٥٧/٤.

(٤) قراءة حفص والكسائي في السبعة ص ٤٨١، وفي التيسير ص ١٦٨.

(٥) المحرر الوجيز ٢٥٧/٤.

(٦) الشاذة ص ١٠٩، وزاد المسير ١٦٦/٦ ونسبها أيضاً إلى الضحاك.

(٧) المحرر الوجيز ٢٥٦/٤.

الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ من النظر الذي هو التأمل والتصفح^(١).
 ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في مقاتل^(٢). و«كنت» بمعنى أنت. وقال: ﴿سَنَنْظُرُ
 أَصَدَقْتَ﴾ ولم يقل: سننظر في أمرك؛ لأن الهدهد لما صرَّح بفخر العلم في قوله:
 ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ صرَّح له سليمان بقوله: ﴿سننظر أصدقت أم كذبت﴾ فكان
 ذلك كُفْؤاً^(٣) لما قاله.

الخامسة عشرة: في قوله: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ دليل على أن الإمام
 يجب عليه أن يقبل عذر رعيته، ويدراً العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن
 أعدارهم^(٤)؛ لأن سليمان لم يُعاقب الهدهد حين اعتذر إليه، وإنما صار صدق
 الهدهد عذراً؛ لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد، وكان سليمان عليه السلام حُبب إليه
 الجهاد. وفي الصحيح: «ليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل
 الكتاب وأرسل الرسل^(٥)». وقد قبل عمر عذر النعمان بن عدي ولم يُعاقبه^(٦). ولكن
 للإمام أن يمتحن ذلك إذا تعلق به حكم من أحكام الشريعة، كما فعل سليمان؛ فإنه
 لما قال الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ لم
 يستفزّه الطمع، ولا استجره حُبُّ الزيادة في الملك إلى أن يعرض له حتى قال:
 ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فغاضه حينئذ ما سمع، وطلب الانتهاء
 إلى ما أخبر، وتحصيل علم ما غاب عنه من ذلك، فقال: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
 الْكَاذِبِينَ﴾^(٧)، ونحو منه ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة، حين استشار عمر

(١) الكشاف ١٤٥/٣.

(٢) تفسير أبي الليث ٤٩٤/٢.

(٣) في (م): كفاء. وفي بقية النسخ: حقاً. والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ١٤٤٧/٣.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٤٧/٣.

(٥) صحيح البخاري (٧٤١٦)، وصحيح مسلم (٤١٩٩) بنحوه من حديث المغيرة بن شعبة. وهو في
 مسند أحمد (١٨١٦٨).

(٦) وقد سلفت قصته ٩٠/١٦ - ٩١.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٤٦/٣.

الناس في إِمْلَاصِ المرأة - وهي التي يُضْرَبُ بطنُها فتلقِي جنينها - فقال المغيرةُ بنُ شعبة: شهدتُ النبيَّ ﷺ قضى فيه بغرةً عبدٌ أو أمة. قال: فقال عمر: ايتني بمن يشهدُ معك. قال: فشهدَ له محمد بن مسلمة^(١). وفي روايةٍ فقال: لا تبرحَ حتى تأتيَ بالمرجِ من ذلك. فخرجتُ فوجدتُ محمد بن مسلمة، فجنثُ به فشهد^(٢). ونحوه حديثُ أبي موسى في الاستئذان^(٣)، وغيره.

السادسة عشرة: قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكِنْيَتِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: فيها خمسةُ أوجه: «فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ» بإثبات الياء في اللفظ. ويحذف الياء وإثبات الكسرة دالةٌ عليها «فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ». وبضَمِّ الهاء وإثبات الواو على الأصل «فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ». ويحذف الواو وإثبات الضمة «فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ». واللغة الخامسة قرأ بها حمزة بإسكان الهاء «فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ». قال النَّحَّاسُ: وهذا عند النَّحْوِيِّينَ لا يجوزُ إلا على حيلةٍ بعيدةٍ تكون: يُقَدَّرُ الوقف. وسمعتُ علي بن سليمان يقول: لا تلتفتُ إلى هذه اللغة^(٤)، ولو جازَ أن يصلَ وهو ينوي الوقف لجازَ أن يحذفَ الإعرابَ من الأسماء^(٥). وقال: «إليهم» على لفظ الجمع، ولم يقل: إليها؛ لأنه قال: ﴿وَجِدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْئِ﴾ فكانه قال: فألقه إلى الذين هذا دينهم؛ اهتماماً منه بأمر الدين، واشتغالاً به عن غيره، وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك^(٦).

(١) صحيح مسلم (١٦٨٣). وأخرجه أحمد (١٨٢١٣).

(٢) صحيح البخاري (٦٣١٧).

(٣) سلف ١٩٠/١٥.

(٤) في (م): العلة.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٠٨/٣-٢٠٩، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ١١٦/٤. والقراءة الأولى والثانية والخامسة من القراءات السبعة المشهورة، فالقراءة الأولى قرأ بها ابن كثير والكسائي وابن عامر في رواية هشام عنه، ونافع في رواية ورش عنه. والقراءة الثانية قرأ بها ابن عامر في رواية ابن ذكوان عنه، ونافع في رواية قالون عنه. والقراءة الخامسة قرأ بها حمزة وعاصم وأبو عمرو. وأما القراءتان الثالثة والرابعة فهما شاذتان، وذكر ابن خالويه القراءة الثالثة في الشاذة ص ١٠٩ عن مسلم بن جندب.

(٦) الكشاف ١٤٦/٣.

وروي في قصص هذه الآية أن الهدد وصل فألقى دون هذه الملكة حُجب جدران فعمد إلى كُوَّة كانت بِلْقَيْسُ صنَّعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها إياها، فدخَلَ منها ورمى الكتاب على بِلْقَيْسَ وهي - فيما يُروى - نائمة، فلَمَّا انتبَهت وجَدته فراغها، وظنَّ أنه قد دخل عليها أحد، ثم قامت فوجدت حالها كما عهدت، فنظرت إلى الكُوَّة تهُمُّماً بأمر الشمس، فرأت الهدد فعلمت^(١). وقال وهب وابن زيد: كانت لها كُوَّة مستقبلة مطلع الشمس، فإذا طلعت سجدت، فسدها الهدد بجناحه، فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى الصحيفة إليها، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت؛ لأن ملك سليمان عليه السلام كان في خاتمه، فقرأته، فجمعت الملاء من قومها فخاطبهم بما يأتي بعد^(٢). وقال مقاتل: حمل الهدد الكتاب بمنقاره، وطار حتى وقف على رأس المرأة وحولها الجنود والعساكر، فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه، فرفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها^(٣).

السابعة عشرة: في هذه الآية دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، ودعائهم إلى الإسلام. وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصَرَ وإلى كل جبار كما تقدّم في «آل عمران»^(٤):

الثامنة عشرة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أمره بالتولي حُسن أدبٍ ليتنحى حسب ما يتأدّب به مع الملوك. بمعنى: وكُن قريباً حتى ترى مراجعتهم. قاله وهب بن منبه. وقال ابن زيد: أمره بالتولي بمعنى الرجوع إليه، أي: ألقِه وارجع. قال: وقوله ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ في معنى التقديم على قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ﴾ واتساق رتبة الكلام

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٥٧ - ٢٥٨ عن وهب بن منبه.

(٢) تفسير البغوي ٣/٤١٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/٤٩٤، وزاد المسير ٦/١٦٧ - ١٦٨.

(٤) ١٦١/٥.

أظهره؛ أي: ألقه ثم تولّ، وفي خلال ذلك فانظر^(١) أي: انتظر. وقيل: فاعلم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبا: ٤٠] أي: اعلم ماذا يرجعون، أي: يُجيبون وماذا يردّون من القول. وقيل: ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يتراجعون بينهم من الكلام. قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّيَأَلْفِيْ إِيَّكَ كِتَابٌ كَرِيْمٌ ﴿٢١﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿٢٢﴾ أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَيَّ وَأَتُونِيْ مُسْلِمِيْنَ ﴿٢٣﴾﴾

فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا﴾ في الكلام حذف، والمعنى: فذهب فألقاه إليهم، فسمعتها وهي تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا﴾^(٢). ثم وصفت الكتاب بالكريم إماماً لأنه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم، فعظمته إجلالاً لسليمان عليه السلام. وهذا قول ابن زيد. وإماماً أشارت إلى أنه مطبوع عليه بالخاتم، فكرامة الكتاب ختمه، ورؤي ذلك عن رسول الله ﷺ^(٣). وقيل: لأنه بدأ فيه بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وقد قال ﷺ: «كلُّ كلامٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم»^(٤). وقيل: لأنه بدأ فيه بنفسه، ولا يفعل ذلك إلا الجلّة. وفي حديث ابن عمر أنه كتب إلى عبد الملك ابن مروان يبأيعه: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَقْرَأُ لَكَ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٧.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٢٨.

(٣) سيرد لفظه قريباً.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٨. والحديث أخرجه أحمد (٨٧١٢)، وأبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٩٤)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وابن حبان (١) وغيرهم من طريق قرّة بن عبد الرحمن، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ؓ بلفظ: «بحمد الله»، وفي رواية أبي داود: «أجذم»، ورواية أحمد: «أبتر» أو «أقطع»، ورواية الباقيين: «أقطع». وقرّة بن عبد الرحمن ضعيف.

وأخرجه النسائي (٤٩٥) و(٤٩٦) و(٤٩٧) من طرق عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلأ، بلفظ: «بذكر الله». ورجّح الدارقطني في سننه ١/ ٤٢٧ وفي العلل ٨/ ٣٠ هذه الرواية المرسلة على الموصولة. قلنا: ومراسيل الزهري غير معتبرة عند جمهور أهل العلم. وللحديث طرق أخرى معلولة تنظر في مسند أحمد.

بالسمع والطاعة ما استطعت، وإن بنيي قد أقرؤا لك بذلك^(١). وقيل: توهمت أنه كتاب جاء من السماء؛ إذ كان الموصّل طيراً. وقيل: «كريم»: حسن، كقوله: ﴿وَمَقَامِ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨] أي: مجلس حسن. وقيل: وصفته بذلك؛ لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله عز وجل، وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سباً ولا لعناً، ولا ما يُغيّر النفس، ومن غير كلام نازل ولا مُستغلق؛ على عادة الرسل في الدعاء إلى الله عز وجل؛ ألا ترى إلى قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. وكلها وجوه حسان وهذا أحسنها.

وقد روي أنه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أحد قبل سليمان^(٢). وفي قراءة عبد الله: «وإنه من سليمان» بزيادة واو^(٣).

الثانية: الوصف بالكريم في الكتب غاية الوصف؛ ألا ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقَرَنَاءُ كَرِيمٍ﴾ وأهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير وبالأثير وبالمبرور؛ فإن كان لمليك قالوا: العزيز، وأسقطوا الكريم غفلة، وهو أفضلها خصلة. فأما الوصف بالعزيز فقد وصف به القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكَنُتُبٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] فهذه عزته وليست لأحد إلا له، فاجتنبوها في كتبكم، واجعلوا بدلها العالی؛ توفية لحق الولاية، وحياطة للديانة. قاله القاضي أبو بكر بن العربي^(٤).

الثالثة: كان رسم المتقدمين إذا كتبوا أن يبدؤوا بأنفسهم: من فلان إلى فلان،

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٤٧ - ١٤٤٨ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٥٨ ، والكشاف ٣/١٤٦ ، وهي قراءة شاذة. ووقع في (د) و(ز) و(ط): وفي قراءة أبي: «وإنه» بزيادة واو. والمثبت من (م).

(٤) في أحكام القرآن ٣/١٤٤٨ .

وبذلك جاءت الآثار. وروى الربيع عن أنس قال: ما كان أحدًا أعظم حُرمةً من النبي ﷺ، وكان أصحابه إذا كتبوا بدؤوا بأنفسهم^(١). وقال ابن سيرين: قال النبي ﷺ: «إنَّ أهلَ فارس إذا كتبوا بدؤوا بعُظْمائهم فلا يبدأ الرجلُ إلَّا بنفسه»^(٢). قال أبو الليث في كتاب «البستان» له: ولو بدأ بالمكتوبِ إليه جاز^(٣)؛ لأنَّ الأمةَ قد اجتمعت عليه وفعلوه لمصلحةٍ رأوا في ذلك، أو نسخ ما كان من قبل؛ فالأحسنُ في زماننا هذا أن يبدأ بالمكتوبِ إليه، ثم بنفسه؛ لأنَّ البدايةَ بنفسه تُعدُّ منه استخفافاً بالمكتوبِ إليه، وتكبراً عليه، إلَّا أن يكتبَ إلى عبدٍ من عبديه، أو غلامٍ من غلمانه.

الرابعة: وإذا وردَ على إنسانٍ كتابٌ بالتحية أو نحوها ينبغي أن يرُدَّ الجواب؛ لأنَّ الكتابَ من الغائبِ كالسلامِ من الحاضر. وروى عن ابن عباسٍ أنه كان يرى رَدَّ الكتابِ واجباً كما يرى رَدَّ السلامِ. والله أعلم.

الخامسة: اتَّفَقوا على كَتَبِ «بسم الله الرحمن الرحيم» في أوَّلِ الكتبِ والرسائلِ، وعلى ختمِها؛ لأنَّه أبعدُ من الرِّيبة، وعلى هذا جرى الرِّسْمُ، وبه جاء الأثرُ عن عمر بن الخطابِ ﷺ أنه قال: أيُّما كتابٍ لم يكن مختوماً فهو أغلَفٌ. وفي الحديث: «كُرِّمَ الكتابُ ختمه»^(٤). وقال بعضُ الأدباءِ هو ابن المُقَفَّع: مَنْ كَتَبَ إلى أخيه كتاباً فقدِ استخَفَّ به^(٥)؛ لأنَّ الختمَ ختمٌ^(٦). وقال أنس: لَمَّا أرادَ النبيُّ ﷺ أن

(١) وأخرجه الطبراني في الكبير (٦١٠٨) من حديث سلمان ﷺ.

(٢) إسناده منقطع؛ محمد بن سيرين تابعي، وقد رواه عن النبي ﷺ دون ذكر الصحابي.

(٣) في (م): لجاز.

(٤) من بداية المسألة الثالثة إلى هذا الموضع من بستان العارفين ص ٦٣ - ٦٤. والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٨٤) عن ابن عباس ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٩/٨: فيه محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك. وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٣٩) وفيه السدي، وفيه الكلبي وهو متروك أيضاً.

(٥) الكشاف ١٤٦/٣.

(٦) في (م): ختم.

يَكْتُبَ إِلَى الْعَجْمِ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ إِلَّا كِتَابًا عَلَيْهِ خْتَمٌ. فَاصْطَنَعَ خَاتَمًا، وَنَقَشَ عَلَى فِصْهٍ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى وَبَيْصِهِ^(١) وَبِيَاضِهِ فِي كَفِّهِ^(٢).

السادسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ «وإنه» بالكسر فيهما، أي: وإنَّ الكلام، أو: إن مُبتدأ الكلام «بسم الله الرحمن الرحيم». وأجاز الفراء «أَنَّ مِنْ سُلَيْمَانَ وَأَنَّ» بفتحهما جميعاً على أن يكونا في موضع رفع بدل من الكتاب بمعنى: ألقى إليَّ أنه من سليمان. وأجاز أن يكونا في موضع نصب على حذف الخافض^(٣)، أي: لأنَّه من سليمان ولأنَّه؛ كأنَّها علَّلت كرمه بكونه من سليمان وتصديره بسم الله. وقرأ الأشهب العقيليُّ ومحمد بن السَّمِيفَع: «أَلَّا تَعْلَمُوا» بالغين المعجمة. ورُوِيَ عن وهب بن مُنَبِّه^(٤)؛ من غلا يغلو إذا تجاوزَ وتكَبَّر^(٥). وهي راجعة إلى معنى قراءة الجماعة ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ أي: مُتقادين طائعين مؤمنين^(٦).

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ ﴿٣٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قَوْلٍ وَأَوْلُوا بِأَبْنِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ الملاء: أشرف

(١) الوبيص: البريق. اللسان (وبص).

(٢) أخرجه بنحوه أحمد (١٢٧٣٨)، والبخاري (٥٨٧٢)، ومسلم (٢٠٩٢). وفي الحديث أن النقش كان: محمد رسول الله.

(٣) إعراب القرآن ٢٠٩/٣، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢٩١/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٢٥٨/٤ عن الأشهب العقيلي، والمحتسب ١٣٩/٢، والشاذة عن وهب بن منبه، وذكر أنها قراءة ابن عباس.

(٥) إعراب القرآن ٢٠٩/٣.

(٦) تفسير أبي الليث ٤٩٥/٢، وتفسير البغوي ١١٦/٣، وزاد المسير ١٦٨/٦، والكشاف ١٤٦/٣.

القوم^(١). وقد مضى في سورة «البقرة»^(٢) القول فيه. قال ابن عباس: كان معها ألف قَيْلٍ. وقيل: اثنا عشر ألف قَيْلٍ مع كل قَيْلٍ مئة ألف^(٣). والقَيْلُ: المَلِكُ دون المَلِكِ الأعظم^(٤). فأخذت في حُسْنِ الأدبِ مع قومها، ومشاورتهم في أمرها، وأعلمتهم أَنَّ ذلك مُطَرِّدٌ عندها في كلِّ أمرٍ يَعْرِضُ، بقولها: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ فكيف في هذه النازلة الكبرى. فراجعها المَلَأُ بما يُقَرُّ عَيْنَهَا، من إعلامهم إياها بالقوَّة والبأس، ثم سلَّموا الأمر إلى نظريها؛ وهذه محاورَةٌ حسنةٌ من الجميع^(٥). قال قتادة: ذُكِرَ لنا أَنَّهُ كَانَ لَهَا ثَلَاثُ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا هُمْ أَهْلُ مَشُورَتِهَا، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ^(٦).

الثانية: في هذه الآية دليلٌ على صِحَّةِ المشاورة. وقد قال الله تعالى لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ في «آل عمران» [الآية: ١٥٩] إِمَّا اسْتِعَانَةً بِالْآرَاءِ، وَإِمَّا مُدَارَاةً لِلْأَوْلِيَاءِ. وقد مدحَ اللهُ تعالى الفُضَلَاءَ بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٧) [الشورى: ٣٨]. والمشاورةُ من الأمر القديم وخاصةً في الحرب، فهذه بلقيس امرأةٌ جاهليةٌ كانت تعبد الشمس ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ لتختبرَ عَزْمَهُمْ على مقاومة عدوِّهم، وحَزْمَهُمْ فيما يُقِيمُ أمرهم، وإمضاءهم على الطاعة لها، بعلمها بأنَّهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقةٌ بمقاومة عدوِّها، وإن لم يجتمع أمرهم وحزْمُهم وجُدُّهم كان ذلك عوناً لعدوِّهم عليهم، وإن لم تختبرِ

(١) الوسيط ٣/٣٧٧، وزاد المسير ٦/١٦٨.

(٢) ٤/٢٢٨.

(٣) تفسير البغوي ٣/٤١٦. وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٨/٥١. والقول الثاني أخرجه الطبري ١٨/٥٠ - ٥١، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٢٠) عن مجاهد. قال الألوسي في روح المعاني ١٩/١٩٨: ولعمري إن أرض اليمن لتكاد تضيق عن العدد الذي تضمَّنه الخبر.

(٤) الصحاح (قول).

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٥٨.

(٦) تفسير البغوي ٣/٤١٦.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٤٨.

ما عندهم، وتعلّم قَدْرَ عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدالها برأيها وهنّ في طاعتها، ودخيلة في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عونٌ على ما تريده من قوّة شوكتهم، وشِدَّة مُدافعتهم؛ ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿مَنْ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾. قال ابن عباس: كان من قوّة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتدّ ضَمَّ فحذّيه فحبسه بقوّته.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ سلّموا الأمر إلى نظرها - مع ما أظهروا لها من القوّة والبأس والشدّة - فلمّا فعلوا ذلك أخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلّبون عليها. وفي هذا الكلام خوفٌ على قومها، وحيطة لهم^(١)، واستعظامٌ لأمر سليمان عليه السلام. ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قيل: هو من قول بلقيس تأكيداً للمعنى الذي أرادته. وقال ابن عباس: هو من قول الله عزّ وجلّ مُعْرِفًا لمحمد ﷺ وأمّته بذلك ومُخْبِرًا به^(٢). وقال وهب: لمّا قرأت عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله، فقالت: ما هذا؟! فقال بعض القوم: ما نَظُنُّ هذا إلا عفريتاً عظيماً من الجنّ يقتدرُ به هذا الملكُ على ما يُريده. فسكّته. وقال آخر^(٣): أراهم ثلاثة من العفاريت. فسكّته، فقال شابٌ قد علِمَ: يا سيّدة الملوك، إنَّ سليمانَ ملكٌ قد أعطاه ملكُ السماء ملكاً عظيماً، فهو لا يتكلّم بكلمةٍ إلا بدأ فيها بتسمية إلهه، والله اسمُ ملكِ السماء، والرّحمنُ الرّحيمُ نعوته. فعندها قالت: ﴿أَفْتَرِي فِيَّ أَمْرِي﴾ فقالوا: ﴿مَنْ أَوْلُوا قُوَّةً﴾ في القتال ﴿وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾^(٤) في الحرب واللقاء ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ ردّوا أمرهم إليها لمّا جربوا على رأيها من البركة ﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ف ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور،

(١) كلمة «لهم» ليست في (م)، وأثبتت من باقي النسخ.

(٢) المحرر الوجيز ٢٥٨/٤.

(٣) المثبت من (ظ)، وفي بقية النسخ: الآخر.

(٤) قبلها في (م) كلمة: قوّة.

فصدق الله قولها: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

وقال ابن الأنباري^(١): ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ هذا وقف تام. فقال الله عز وجل تحقيقاً لقولها: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وشبّه به في سورة «الأعراف» [١٠٩-١١٠]: «قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ» تم الكلام، فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. وقال ابن شجرة^(٢): هو قول بلقيس، فالوقف ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ هذا من حسن نظرها وتدبيرها، أي: إنني أجرب هذا الرجل بهدية، وأعطيه فيها نفائس الأموال^(٣)، وأغرب عليه بأمور المملكة، فإن كان ملكاً دنيائياً أرضاه المأل وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبياً لم يرضه المأل ولازمتنا في أمر الدين، فينبغي لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينه، فبعثت إليه بهدية عظيمة أكثر الناس في تفصيلها^(٤)، فقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أرسلت إليه بلينة من ذهب، فرأت الرسل الحيطان من ذهب فصعّر عندهم ما جاؤوا به^(٥). وقال مجاهد: أرسلت إليه بمثي غلام ومثي جارية^(٦). وروي عن ابن عباس: باثنتي عشرة وصيفة مذكرين قد ألبستهم زي الغلمان، واثنى عشر غلاماً مؤنثين قد ألبستهم زي النساء، وعلى يد الوصائف أطباق مسك وعنبر، وياثنتي عشرة

(١) في إيضاح الوقف والابتداء ٨١٧/٢.

(٢) فيما نقل عنه الماوردي في النكت والعيون ٢٠٦/٤.

(٣) قبلها في (م): من.

(٤) المحرر الوجيز ٢٥٩/٤.

(٥) إعراب القرآن ٢١٠/٣.

(٦) عرائس المجالس ص ٣١٧، والوسيط ٣٧٧/٣.

نَجِيَّةٍ تَحْمِلُ لِبَنِّ الذَّهَبِ، ويخزنتين إحداهما غيرُ مثقوبة، والأخرى مثقوبةٌ ثَقْبًا مِعْوَجًا، ويقدح لا شيء فيه، وبعضًا كان يتوارثها ملوكُ حِمَيْرٍ، وأنفَذتِ الهديةَ مع جماعةٍ من قومها. وقيل: كان الرسولُ واحدًا، ولكن كان في صحبته أتباعٌ وخدم. وقيل: أرسلت رجلًا من أشرافِ قومها يُقال له: المنذر بن عمرو، وضُمَّتْ إليه رجالًا ذَوِي رأيٍ وعقلٍ، والهدية مئةٌ وصيفٌ ومئةٌ وصيفة، قد حُولِفَ بينهم في اللباس، وقالت للغلمان: إذا كَلَّمَكُم سليمانُ فكلِّمُوهُ بكلامٍ فيه تَأْنِيثٌ يُشْبِهُ كَلَامَ النِّسَاءِ، وقالت للجواري: كَلِّمْنَهُ بكلامٍ فيه غَلْظٌ يشبه كلامَ الرجال، فيقال: إِنَّ الْهُدْهَدَ جَاءَ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ كُلَّهُ. وقيل: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ، فَأَمَرَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَبْسُطَ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى تِسْعِ فَرَاسِخٍ بِلَبَنَاتِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ الدَّوَابِّ رَأَيْتُمْ أَحْسَنُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، رَأَيْنَا فِي بَحْرِ كَذَا دَوَابَّ مُتَقَطَّةً مُخْتَلِفَةً أَلْوَانُهَا، لَهَا أَجْنِحَةٌ وَأَعْرَافٌ وَنَوَاصِي. فَأَمَرَ بِهَا فَجَاءَتْ فَشُدَّتْ عَلَى يَمِينِ الْمِيدَانِ وَعَلَى يَسَارِهِ، وَعَلَى لَبَنَاتِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَلْقَوْا لَهَا عُلُوفَاتِهَا، ثُمَّ قَالَ لِلْحِجْرِيِّ: عَلِيٌّ بِأَوْلَادِكُمْ - فَأَقَامَهُمْ - أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّبَابِ - عَنْ يَمِينِ الْمِيدَانِ وَيَسَارِهِ. ثُمَّ قَعَدَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى كُرْسِيِّهِ فِي مَجْلِسِهِ، وَوَضَعَ لَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ كُرْسِيِّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ يَمِينِهِ وَمِثْلَهَا عَنْ يَسَارِهِ، وَأَجْلَسَ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْعُلَمَاءَ، وَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ وَالْحِجْرِيَّ وَالْإِنْسَ أَنْ يَصْطَفُّوا صَفُوفًا فَرَاسِخَ، وَأَمَرَ السَّبَاعَ وَالْوَحُوشَ وَالْهَوَامَّ وَالطَّيْرَ فَاصْطَفُّوا فَرَاسِخَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ مِنَ الْمِيدَانِ وَنظَرُوا إِلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَرَأَوْا الدَّوَابَّ الَّتِي لَمْ تَرَ أَعْيُنُهُمْ أَحْسَنَ مِنْهَا تَرَوْتُ عَلَى لَبَنَاتِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، تَقَاصَرَتْ إِلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ، وَرَمَوْا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا. وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: إِنَّ سُلَيْمَانَ لَمَّا أَمَرَهُمْ بِفَرَشِ الْمِيدَانِ بِلَبَنَاتِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتْرَكُوا عَلَى طَرِيقِهِمْ مَوْضِعًا عَلَى قَدْرِ مَوْضِعِ بَسَاطٍ مِنَ الْأَرْضِ غَيْرِ مَفْرُوشٍ، فَلَمَّا مَرُّوا بِهِ خَافُوا أَنْ يَتَّهِمُوا، بِذَلِكَ فَطَرَحُوا مَا مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، فَلَمَّا رَأَوْا الشَّيَاطِينَ رَأَوْا مَنْظَرًا هَائِلًا فَظِعْمًا فَفَزِعُوا وَخَافُوا، فَقَالَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ: جُوزُوا لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ. فَكَانُوا

يمرون على كُرْدُوسٍ كُرْدُوسٍ من الجِنَّ والإنسِ والبهائمِ والطيرِ والسَّبَاعِ والوحوشِ حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر إليهم سليمانُ نظراً حسناً بوجهٍ طَلَقٍ - وقد^(١) كانت قالت لرسولها: إِنْ نَظَرَ إِلَيْكَ نَظَرَ مُغْضَبٍ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَلِكٌ فَلَا يَهْوِلُنَّكَ مَنْظَرُهُ فَأَنَا أَعَزُّ مِنْهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ الرَّجُلَ بَشْأً لَطِيفاً فَاعْلَمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، فَتَفَهَّمْ قَوْلَهُ وَرَدِّ الْجَوَابَ - فَأَخْبَرَ الْهَدُودُ سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَكَانَتْ عَمَدَتْ إِلَى حُقَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَتْ فِيهَا ذُرَّةً يَتِيمَةً غَيْرَ مَثْقُوبَةٍ، وَخَرَزَةً مُعْوَجَّةَ الثَّقَبِ، وَكَتَبَتْ كِتَاباً مَعَ رَسُولِهَا تَقُولُ فِيهِ: إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا فَمَيِّزْ بَيْنَ الْوُصَفَاءِ وَالْوَصَائِفِ، وَأَخْبِرْ بِمَا فِي الْحُقَّةِ، وَعَرِّفْنِي رَأْسَ الْعَصَا مِنْ أَسْفَلِهَا، وَأَثْقُبِ الدَّرَّةَ ثَقْباً مُسْتَوِيًّا، وَأَدْخِلْ خَيْطَ الْخَرَزَةِ، وَامْلَأِ الْقَدَحَ مَاءً مِنْ نَدَى لَيْسَ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا مِنَ السَّمَاءِ، فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ أَعْطَاهُ كِتَابَ الْمَلِكَةِ فَنَظَرَ فِيهِ، وَقَالَ: أَيْنَ الْحُقَّةُ؟ فَأَتَى بِهَا فَحَرَّكَهَا، فَأَخْبَرَ جَبْرِيلُ بِمَا فِيهَا، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: صَدَقْتَ، فَأَثْقُبِ الدَّرَّةَ، وَأَدْخِلِ الْخَيْطَ فِي الْخَرَزَةِ. فَسَأَلَ سُلَيْمَانَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ عَنْ ثَقْبِهَا فَعَجَزُوا، فَقَالَ لِلشَّيَاطِينِ: مَا الرَّأْيُ فِيهَا؟ فَقَالُوا: تُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجَاءَتِ الْأَرْضُ فَأَخَذَتْ شَعْرَةً فِيهَا حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرَ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانَ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: تَصِيرُ رِزْقِي فِي الشَّجَرَةِ. فَقَالَ لَهَا: لِكَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ سُلَيْمَانَ: مَنْ لِهَذِهِ الْخَرَزَةِ يَسْلُكُهَا الْخَيْطَ؟ فَقَالَتْ دُودَةٌ بِيضَاءُ: أَنَا لَهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَتِ الدُّودَةُ الْخَيْطَ فِيهَا وَدَخَلَتِ الثَّقَبَ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرَ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانَ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: تَجْعَلُ رِزْقِي فِي الْفَوَاكِهِ. قَالَ: ذَلِكَ لِكَ. ثُمَّ مَيِّزَ بَيْنَ الْغُلَّامَانِ وَالْجَوَارِي^(٢). قَالَ السُّدِّيُّ: أَمَرَهُمْ بِالْوَضْعِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَحْدُرُ الْمَاءَ عَلَى الْيَدِ وَالرَّجُلِ حَذْرًا، وَجَعَلَ الْجَوَارِي يَصْبِيْنُ مِنَ الْيَدِ الْيَسْرَى عَلَى الْيَدِ الْيَمْنَى، وَمِنَ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى، فَمَيِّزَ بَيْنَهُمْ بِهَذَا. وَقِيلَ: كَانَتِ الْجَارِيَةُ تَأْخُذُ الْمَاءَ مِنَ الْآنِيَةِ بِإِحْدَى يَدَيْهَا، ثُمَّ تَحْمِلُهُ عَلَى الْآخَرَى، ثُمَّ

(١) كلمة «قد» ليست في (م)، وأثبتت من باقي النسخ.

(٢) كلمة «والجوارى» من (م) ومن المصادر.

تَضْرِبُ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ، وَالْغَلَامُ كَانَ يَأْخُذُ الْمَاءَ مِنَ الْآنِيَةِ يَضْرِبُ بِهِ فِي الْوَجْهِ، وَالْجَارِيَةُ تَصُبُّ عَلَى بَطْنِ سَاعِدِهَا، وَالْغَلَامُ عَلَى ظَهْرِ السَّاعِدِ، وَالْجَارِيَةُ تَصُبُّ الْمَاءَ صَبًّا، وَالْغَلَامُ يَحْدُرُ عَلَى يَدَيْهِ؛ فَمَيَّزَ بَيْنَهُمْ بِهَذَا^(١). وَرَوَى يَعْلَى بْنُ مَسْلَمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أُرْسِلْتُ بِلَقَيْسٍ بِمَتْنِي وَصَيْفَةٍ وَوَصَيْفٍ، وَقَالَتْ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيَعْلَمُ الذُّكُورَ مِنَ الْإِنَاثِ. فَأَمَرَهُمْ فَتَوَضَّؤُوا، فَمَنْ تَوَضَّأَ مِنْهُمْ فَبَدَأَ بِمِرْقَعِهِ قَبْلَ كَفِّهِ قَالَ: هُوَ مِنَ الْإِنَاثِ، وَمَنْ بَدَأَ بِكَفِّهِ قَبْلَ مِرْقَعِهِ قَالَ: هُوَ مِنَ الذُّكُورِ^(٢). ثُمَّ أُرْسِلَ الْعَصَا إِلَى الْهَوَاءِ فَقَالَ: أَيُّ الرَّأْسَيْنِ سَبَقَ إِلَى الْأَرْضِ فَهُوَ أَصْلُهَا، وَأَمَرَ بِالْخَيْلِ فَأَجْرِيَتْ حَتَّى عَرِقَتْ وَمُلَأَ الْقَدْحُ مِنْ عَرَقِهَا^(٣)، ثُمَّ رَدَّ سَلِيمَانَ الْهَدِيَّةَ^(٤)، فَرُوي أَنَّهُ لَمَّا صَرَفَ الْهَدِيَّةَ إِلَيْهَا وَأَخْبَرَهَا رَسُولُهَا بِمَا شَهِدَ؛ قَالَتْ لِقَوْمِهَا: هَذَا أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ.

الثانية: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ^(٥) عَلَيْهَا وَلَا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، وَكَذَلِكَ كَانَ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَإِنَّمَا جَعَلَتْ بِلَقَيْسٍ قَبُولَ الْهَدِيَّةِ أَوْ رَدَّهَا عِلَامَةً عَلَى مَا فِي نَفْسِهَا، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَوْنِ سَلِيمَانَ مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا؛ لِأَنَّهُ قَالَ لَهَا فِي كِتَابِهِ: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وَهَذَا لَا تُقْبَلُ فِيهِ فَدِيَّةٌ، وَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُ هَدِيَّةٌ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْبَابِ الَّذِي تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ عَنْ قَبُولِ الْهَدِيَّةِ بِسَبِيلٍ، وَإِنَّمَا هِيَ رِشْوَةٌ وَبَيْعٌ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَهِيَ الرِّشْوَةُ الَّتِي لَا تَحِلُّ. وَأَمَّا الْهَدِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ لِلتَّحَبُّبِ وَالتَّوَاصُلِ فَإِنَّهَا جَائِزَةٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَهَذَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ مُشْرِكٍ.

(١) عرائس المجالس ص ٣١٨ - ٣١٩، وتفسير البغوي ٣/٤١٧ - ٤١٩. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: واللّه أعلم أكان ذلك أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية ولا اعتنى به، بل أعرض عنه.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/١٣١.

(٣) النكت والعيون ٤/٢١٠، ومجمع البيان ١٩/٢٢٢.

(٤) عرائس المجالس ص ٣١٩، وتفسير البغوي ٣/٤١٩.

(٥) في (م): ويثب.

الثالثة: فإن كانت من مشركٍ ففي الحديث: «نُهيتُ عن زَبْدِ المشركين» يعني رِفْدَهُم وعطاياهم^(١). ورُويَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قبلها كما في حديث مالك عن ثور بن زيد الدِّلييِّ^(٢) وغيره^(٣)، فقال جماعةٌ من العلماء بالنسخ فيهما، وقال آخرون: ليس فيها ناسخٌ ولا منسوخ، والمعنى فيها: أنه كان لا يقبل هديةً من يطمع بالظهورِ عليه وأخذِ بلده ودخوله في الإسلام^(٤). وبهذه الصفة كانت حالة سليمان عليه السلام، فعن مثل هذا نهى أن تُقبَلَ هديته حملاً على الكفِّ عنه، وهذا أحسنُ تأويلٍ للعلماء في هذا؛ فإنه جمع بين الأحاديث. وقيل غير هذا.

الرابعة: الهدية مندوبٌ إليها، وهي مما تُورثُ المودةَ وتذهبُ العداوةَ؛ روى مالكٌ عن عطاء بن عبد الله الحُرَّاساني قال: قال رسول الله ﷺ: «تصافحوا يذهبِ الغِلُّ، وتهادوا تحابُّوا وتذهبِ الشَّحْناءُ»^(٥). وروى معاوية بن الحكم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تهادوا فإنه يُضعِفُ الوُدَّ، ويذهبُ بغوائلِ الصِّدر». وقال

(١) من بداية المسألة الثانية إلى هذا الموضع من أحكام القرآن لابن العربي ١٤٤٩/٣. والحديث بهذا اللفظ أخرجه أبو داود (٣٠٥٧)، والترمذي (١٥٧٧) من حديث عياض بن حمار ﷺ. وقال: حديث حسن صحيح. وهو في مسند أحمد (١٧٤٨٢) بلفظ: «إننا لا نقبل زبد المشركين».

(٢) موطأ مالك ٤٥٩/٢ عن ثور بن زيد الدليي، عن أبي الغيث سالم مولى ابن مطيع، عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر... فأهدى رفاعة بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً أسود يقال له: يدغم... الحديث. وقد أخرجه بنحوه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥). وينظر الاستذكار ٢٠١/١٤.

(٣) أخرج أحمد (١٣١٤٨)، والبخاري (٢٦١٥ - ٢٦١٦)، ومسلم (٢٤٦٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ، أن أكيدر دومة الجنديل أهدى للنبي ﷺ جُبَّةً من سندس.

(٤) التمهيد ١٢/٢، والاستذكار ٢٠٢/١٤.

(٥) الموطأ ٩٠٨/٢. وإسناده مرسل، ولكن قوله: «تهادوا تحابُّوا» له شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨). وقوله: «وتذهب الشحناء» له شاهد من حديث أبي هريرة - أيضاً - أخرجه أحمد (٩٢٥٠)، والترمذي (٢١٣٠) بلفظ: «تهادوا فإن الهدية تذهب وغر - أو - وخر - الصدر».

الدَّارَ قُطْنِيٌّ: تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ بَحِيرٍ^(١) عَنْ أَبِيهِ عَنِ مَالِكٍ، وَلَمْ يَكُنْ بِالرَّضِيِّ، وَلَا يَصِحُّ عَنْ مَالِكٍ وَلَا عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَهَادُوا بَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ السَّخِيمَةَ». قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَأَلْتُ يُونُسَ عَنِ السَّخِيمَةِ مَا هِيَ؟ فَقَالَ: الْغِلُّ. وَهَذَا الْحَدِيثُ وَصَلَهُ الْوَقَّاصِيُّ عَثْمَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَعَلَى الْجُمْلَةِ: فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَفِيهِ الْأَسْوَةُ الْحَسَنَةُ. وَمَنْ فَضَّلَ الْهَدِيَّةَ مَعَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ أَنَّهَا تَزِيلُ حَزَازَاتِ النَّفُوسِ، وَتُكْسِبُ الْمُهْدِيَّ وَالْمُهْدَى إِلَيْهِ رِنَّةً^(٢) فِي اللَّقَاءِ وَالْجُلُوسِ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

هدايا الناس بعضهم لبعض
تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى ووداً
وتكسبهم إذا حضروا جمالا^(٣)

آخر:

إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ أَحْظَى مِنَ الْإِبْنِ عِنْدَ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ^(٤)

الخامسة: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «جُلَسَاؤُكُمْ شُرَكَاءُكُمْ فِي الْهَدِيَّةِ» وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَاهَا، فَقِيلَ: هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ. وَقِيلَ: يُشَارِكُهُمْ عَلَى وَجْهِ الْكِرْمِ وَالْمَرْوَةِ، فَإِنَّ لَمْ يَفْعَلْ فَلَا يُجْبَرُ عَلَيْهِ^(٥). وَقَالَ أَبُو يُونُسَ: ذَلِكَ فِي الْفَوَاكِهَةِ وَنَحْوِهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ شُرَكَاءُ فِي السَّرُورِ لَا فِي الْهَدِيَّةِ. وَالْخَبْرُ مَحْمُولٌ فِي أَمْثَالِ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ وَالْخَوَانِقِ وَالرِّبَاطَاتِ؛ أَمَّا إِذَا كَانَ فَقِيهًا مِنَ الْفُقَهَاءِ اخْتَصَّ بِهَا فَلَا شَرِكَةَ فِيهَا لِأَصْحَابِهِ، فَإِنَّ أَشْرَكَهُمْ فَذَلِكَ كَرَمٌ وَجُودٌ مِنْهُ.

السادسة: قوله تعالى: ﴿فَنَاطِرَةٌ﴾ أَي: مُتَنْظَرَةٌ^(٦) ﴿يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ:

(١) في (م): بجير.

(٢) هكذا في النسخ، ولم يتضح لنا معناها، ولعلها: رغبة.

(٣) قائلهما دعبل الخزاعي، وهما في ديوانه ص ١٢٠.

(٤) المسألة كلها في التمهيد ١٧/٢١ - ١٩ سوى قوله: ومن فضل الهدية.... في اللقاء والجلوس.

(٥) من بداية المسألة إلى هنا من التمهيد ٢١/١٢٤، وقال ابن عبد البر عن الحديث: إسناده فيه لين.

(٦) معجم البيان ١٩/٢٢٠.

يَرَحُّهَا اللهُ أَنْ كَانَتْ لِعَاقِلَةٍ فِي إِسْلَامِهَا وَشِرْكِهَا؛ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْهَدِيَّةَ تَقَعُ مَوْعَاً مِنَ النَّاسِ^(١). وَسَقَطَتِ الْأَلْفُ فِي «بِمَ» لِلْفَرْقِ بَيْنَ «مَا» الْخَبْرِيَّةِ. وَقَدْ يَجُوزُ إِثْبَاتُهَا^(٢)؛ قَالَ:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتَمُنِي لِثِيْمٍ كَخَنْزِيرٍ تَمْرَغٍ فِي رَمَادٍ^(٣)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِّدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيهِ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتَكُمُ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا آذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلَكُ أَيْكُمُ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مَنِ الْجِنُّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِّدُونَنِي بِمَالٍ﴾ أَي: جَاءَ الرَّسُولُ سُلَيْمَانَ بِالْهَدِيَّةِ^(٤). قَالَ: «أُمِّدُونَنِي بِمَالٍ». قَرَأَ حَمْزَةَ وَيَعْقُوبُ وَالْأَعْمَشُ: بِنُونٍ وَاحِدَةٍ مُشَدَّدَةٍ وَيَاءٍ ثَابِتَةٍ بَعْدَهَا^(٥). الْبَاقُونَ بِنُونَيْنِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ؛ لِأَنَّهَا فِي كُلِّ الْمَصَاحِفِ بِنُونَيْنِ^(٦). وَقَدْ رَوَى إِسْحَاقُ عَنِ نَافِعٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: «أُمِّدُونٍ» بِنُونٍ وَاحِدَةٍ مُخَفَّفَةٍ بَعْدَهَا يَاءٌ فِي اللَّفْظِ^(٧). قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: فَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ يَجِبُ فِيهَا إِثْبَاتُ الْيَاءِ عِنْدَ

(١) النكت والعيون ٢٠٩/٤ .

(٢) إعراب القرآن ٣/٢١٠ - ٢١١ . ومذهب جواز إثباتها مذهب الفراء في معاني القرآن له ٢٩٢/٢ .

(٣) قائله حسان بن ثابت، وهو في ديوانه ص ١٩٩ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٩٣/٢ .

(٥) قراءة حمزة في السبعة ص ٢٨٤ ، والتيسير ص ١٧٠ ، وقراءة يعقوب في النشر ٣٤٠/٢ .

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ١/٢٦٧ .

(٧) الشاذة ص ١٠٩ ، وزاد المسير ١٧٢/٦ .

الوقف؛ ليصحَّ لها موافقةُ هجاءِ المصحف. والأصل في النون التشديد، فُخِّفَت التشديدُ من ذا الموضع كما خُفِّفَ من: أشهدُ أنكَ عالمٌ، وأصله: أنكَ عالم. وعلى هذا المعنى بنى الذي قرأ: «يُشَاقُّونَ فِيهِمْ»^(١)، «أَتَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ»^(٢). وقد قالتِ العرب: الرجالُ يضربونَ ويقصدونَ، وأصله: يضربونني ويقصدونني؛ لأنَّه إدغامٌ يضربونني ويقصدونني؛ قال الشاعر:

تَرْهَبِينَ وَالْجَيْدُ مِنْكَ لِيَلِيَّ وَالْحَشَا وَالْبُعَامُ^(٣) وَالْعَيْنَانِ
وَالأَصْلُ تَرْهَبِينِي فَخُفِّفَ. ومعنى «أُتَمِدُّونَنِي»: أتزيدونني مالا إلى ما تشاهدونه من أموالي.

قوله تعالى: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانِي﴾ أي: فما أعطاني من الإسلام والملك والنبوة خير مما أعطاكم، فلا أفرحُ بالمال^(٤). و«آتَانِي» وقعت في كلِّ المصاحف بغير ياء. وقرأ أبو عمرو ونافع وحفص: «آتَانِيَ اللَّهُ» بياءٍ مفتوحة، فإذا وقفوا حذفوا. وأما يعقوب فإنه يُشَبِّهُهَا في الوقف ويحذفُ في الوصل لالتقاء الساكنين. الباكون بغير ياء في الحاليين^(٥). ﴿بَلْ أَتَىٰ بِهَدْيَتِكُمْ فَقَرَّحُونَ﴾ لأنكم أهلُ مفاخرةٍ ومُكَاثِرَةٍ في الدنيا^(٦).

قوله تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: قال سليمان للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ارجع إليهم بهديتهم^(٧). ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ لأمِّ قَسَمٍ، والنون لها لازمة. قال النَّحَّاسُ^(٨): وسمعتُ أبا الحسن بن كيسان يقول: هي لامٌ توكيد، وكذا كان عنده أنَّ

(١) سلف ٣١٥/١٢.

(٢) سلف ٤٤٣/٨.

(٣) هو صوت الناقه. اللسان (بغم).

(٤) تفسير البغوي ٤١٩/٣.

(٥) السبعة ص ٤٨٢، والتيسير ص ٧٠ وقراءة يعقوب في النشر ٣٤٠/٢.

(٦) تفسير البغوي ٤١٩/٣.

(٧) المصدر السابق.

(٨) في إعراب القرآن ٢١١/٣.

اللاماتِ كُلِّهَا ثلاثٌ لا غير؛ لام توكيد، ولام أمر، ولام خفض، وهذا قول الحذّاق من التّحويين؛ لأنهم يردّون الشيء إلى أصله، وهذا لا يتهيأ إلا لمن درب في العربية. ومعنى ﴿لَا قِيلَ لَكُمْ بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم عليها. ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ أي: من أرضهم ﴿أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وقيل: «منها» أي: من قرية سبأ^(١).

وقد سبق ذكر القرية في قوله: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾. ﴿أَذَلَّةً﴾ قد سلبوا ملكهم وعزّهم. ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي: مهانون أذلاء - من الصّغر: وهو الذلّ - إن لم يُسلموا، فرجع إليها رسولها فأخبرها، فقالت: قد عرفتُ أنّه ليس بملك ولا طاقة لنا بقتال نبيّ من أنبياء الله. ثم أمرت بعرشها فُجعلَ في سبعة أبيات بعضها في جوف بعض، في آخر قصرٍ من سبعة قصور، وغلّقت الأبواب، وجعلت الحرس عليه، وتوجّهت إليه في اثني عشر ألف قبيلٍ من ملوك اليمن، تحت كل قبيلٍ مئة ألف. قال ابن عباس: وكان سليمان مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فنظر ذات يوم رهجاً^(٢) قريباً منه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: بلقيسُ يا نبيّ الله^(٣). فقال سليمان لجنوده - وقال وهب وغيره: للجنّ - ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وقال عبد الله بن شداد: كانت بلقيسُ على فرسخٍ من سليمان لما قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾^(٤) وكانت خلّفت عرشها بسبأ، ووكلت به حفظة. وقيل: إنّها لما بعثت بالهدية بعثت رسلها في جندها لئُتغافص^(٥) سليمان عليه السلام بالقتل قبل أن يتأهب سليمان لها إن كان طالبَ ملك، فلمّا علم ذلك قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾. قال ابن عباس: كان أمره بالإتيان بالعرش قبل أن يكتب الكتاب إليها، ولم يكتب إليها حتى جاءه العرش.

(١) تفسير البغوي ٣١٩/٤.

(٢) الرهج: الغبار. اللسان (رهج).

(٣) تفسير البغوي ٤١٩/٣، ومجمع البيان ٢٢٥/١٩ بنحوه.

(٤) تفسير مجاهد ٤٧٠/٢.

(٥) أي: أخذته على غرة. اللسان (غفص).

وقال ابن عطية: وظاهر الآيات أنَّ هذه المقالة من سليمان عليه السلام بعد مجيء هديتها وردّه إيّاها، وبَعثه الهدهد بالكتاب، وعلى هذا جمهور المتأولين. واختلفوا في فائدة استدعاء عرشها، فقال قتادة: ذكّر له بعظم وجودة، فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام ويحمي أموالهم؛ والإسلام على هذا: الدين. وهو قول ابن جريج. وقال ابن زيد: استدعاء لئريها القدرة التي هي من عند الله، ويجعله دليلاً على نبوته؛ لأخذه من بيوتها^(١) دون جيش ولا حرب، و«مسلمين» على هذا التأويل بمعنى مستسلمين. وهو قول ابن عباس^(٢). وقال ابن زيد أيضاً: أراد أن يختبر عقلها؛ ولهذا قال: ﴿تَكْرُؤًا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرَ أَتَنْهَدِي﴾^(٣). وقيل: خافت الجن أن يتزوَّج بها سليمان عليه السلام فيولد له منها ولد^(٤)، فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان، فقالت لسليمان: في عقلها خلل. فأراد أن يمتحنها بعرشها^(٥). وقيل: أراد أن يختبر صدق الهدهد في قوله: ﴿وَلَمَّا عَرَّشَ عَظِيمٌ﴾. قاله الطبري^(٦). وعن قتادة: أحب أن يراه لمّا وصفه الهدهد. والقول الأوّل عليه أكثر العلماء؛ لقوله تعالى: ﴿بَلَّ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ﴾، ولأنها لو أسلمت لحظّر عليه مالها فلا يؤتى به إلا بإذنها^(٧). روي أنه كان من فضة وذهب مُرصّعاً بالياقوت الأحمر والجوهر، وأنه كان في جوف سبعة آيات عليه سبعة أغلاق^(٨).

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ كذا قرأ الجمهور، وقرأ أبو رجاء وعيسى

(١) في (ظ): ثقافها.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٢٥٩ - ٢٦٠.

(٣) مجمع البيان ١٩/٢٢٥.

(٤) كلمة «ولد» من (م).

(٥) الوسيط ٣/٣٧٨.

(٦) المحرر الوجيز ٤/٢٦٠، وهو في تفسير الطبري ١٨/٦٢.

(٧) تفسير الطبري ١٨/٦٢ - ٦٤.

(٨) المحرر الوجيز ٤/٢٦٠.

الثقفي: «عَفْرِيَّةٌ» وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ^(١). وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْعَفْرِيَّةَ النَّفْرِيَّةَ» ^(٢). النَّفْرِيَّةُ إِتْبَاعٌ لِعَفْرِيَّةٍ ^(٣). قَالَ قَتَادَةُ: هِيَ الدَّاهِيَةُ. قَالَ النَّحَّاسُ: يُقَالُ لِلشَّدِيدِ إِذَا كَانَ مَعَهُ خُبْتُ وَدِهَاءٌ: عَفْرٌ وَعَفْرِيَّةٌ وَعَفْرِيَّةٌ وَعَفْرِيَّةٌ. وَقِيلَ: «عَفْرِيَّةٌ» أَي: رَيْسٌ ^(٤). وَقُرَأَتْ فِرْقَةٌ: «قَالَ عَفْرٌ» بِكسْرِ الْعَيْنِ. حَكَاهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ ^(٥); قَالَ النَّحَّاسُ: مَنْ قَالَ: عَفْرِيَّةٌ جَمَعَهُ عَلَى عِفَارٍ، وَمَنْ قَالَ: عَفْرِيَّةٌ كَانَ لَهُ فِي الْجَمْعِ ثَلَاثَةٌ أَوْجِهٌ؛ إِنْ شَاءَ قَالَ: عِفَارِيَّةٌ، وَإِنْ شَاءَ قَالَ: عَفَارٌ؛ لِأَنَّ التَّاءَ زَائِدَةٌ، كَمَا يُقَالُ: طَوَاغٍ فِي جَمْعِ طَاغُوتَ، وَإِنْ شَاءَ عَوَّضَ مِنَ التَّاءِ يَاءً فَقَالَ: عَفَارِي ^(٦). وَالْعَفْرِيَّةُ مِنَ الشَّيَاطِينِ: الْقَوِيُّ الْمَارِدُ، وَالتَّاءُ زَائِدَةٌ. وَقَدْ قَالُوا: تَعَفَّرَتِ الرَّجُلُ. إِذَا تَخَلَّقَ بِخُلُقٍ الْأَذَايَةِ ^(٧). وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبَهَةَ: اسْمُ هَذَا الْعَفْرِيَّةِ كُودُنٌ. ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ ^(٨). وَقِيلَ: ذُكُوانٌ. ذَكَرَهُ السُّهَيْلِيُّ ^(٩). وَقَالَ شُعَيْبُ الْجُبَّائِيُّ: اسْمُهُ دَعْوَانٌ ^(١٠). وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ صَخْرُ الْجِنِّيِّ. وَمِنْ هَذَا الْاسْمِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:

(١) المحرر الوجيز ٢٦٠/٤، وهذه القراءة في المحتسب عن أبي رجاء وعيسى الثقفي، وفي الشاذة ص ١٠٩ عن أبي رجاء وأبي السمال.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في الأمثال (١٣٨) من طريق عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعاً.

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (٢٤٨)، والبيهقي في الشعب (٩٩١٠) من طريق عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا.

(٣) إعراب القرآن ٢١٢/٣.

(٤) معاني القرآن للنحاس ١٣٢/٥.

(٥) المحرر الوجيز ٢٦٠/٤، وهي قراءة شاذة.

(٦) إعراب القرآن ٢١٢/٣.

(٧) المحرر الوجيز ٢٦٠/٤.

(٨) في معاني القرآن ١٣٣/٥.

(٩) في التعريف والإعلام ص ١٢٨.

(١٠) أخرج الطبري ٦٦/١٨ - ٦٧، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٦٧) عن شعيب الجبائي أن اسم العفريت: كوزن.

كَأَنَّهُ كوكبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيرَةٍ مُصَوَّبٌ فِي سوادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ^(١)
وَأَنشُدُ الكَسَائِيَّ:

إِذْ قَالَ شَيْطَانُهُمُ الْعَفْرِيرُ لَيْسَ لَكُمْ مُلْكٌ وَلَا تَشِييْتُ^(٢)

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَفْرِيرَتَا مِنَ الْجِنَّ جَعَلَ يَفْتِكُ^(٣) عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَكْنِي مِنْهُ فَدَعَّتْهُ^(٤)» وذكر الحديث، وفي البخاري: «تَفَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ» مكان «جَعَلَ يَفْتِكُ^(٥)». وفي «الموطأ» عن يحيى بن سعيد أنه قال: أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَى عَفْرِيرَتَا مِنَ الْجِنَّ يَطْلِبُهُ بِشَعْلَةٍ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا تَفَلَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَاهُ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ إِذَا قُلْتَهُنَّ طُفِنَتْ شُعَلَتُهُ وَخَرَّ لِيْفِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلَى» فقال: أَعُوذُ بِاللَّهِ الْكَرِيمِ وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّمَامَاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَشَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَشَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَنْ فَتَنَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَمَنْ طَوَارِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ^(٦).

قوله تعالى: ﴿أَنَا عَلَيْكَ بِدءٍ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ يعني: في مجلسه الذي يحكم

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٦٠، والبيت في ديوان ذي الرمة ١/١١١، وفيه «مَسُومٌ» بدل «مَصُوبٌ». قال شارحه: «مَسُومٌ» يريد: الكوكبُ مُعَلَّمٌ، ويكون بمعنى: مُخْلِى عنه و«منقضب»: مُنْقَضِبٌ.

(٢) قائله رؤية بن العجاج، وهو في ديوانه في مجموع أشعار العرب ص ٢٦.

(٣) من الفتك، وأصله: القتل على غفلةٍ وغرّة. إكمال المعلم ٢/١٥٠.

(٤) أي: خنقته، والدَّعْتُ والدَّعْتُ بالذال والذال: الدفع العنيف، والذعْتُ أيضاً: المعك في التراب. النهاية (ذعت).

(٥) صحيح البخاري (١٢١٠)، وصحيح مسلم (٥٤١). وهو في مسند أحمد (٧٩٦٩). بلفظ البخاري.

(٦) الموطأ ٢/٩٥٠ - ٩٥١. وإسناده معضل. وقد رُوِيَ مَوْصُولًا فيما أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٣)

عن أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن الأوزاعي، عن إبراهيم بن طريف، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، عن ابن مسعود ؓ مرفوعاً. قلنا: أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة له مناكير فيما قاله الذهبي في الميزان ١/١٥١.

وللحديث شاهد ضعيف أخرجه أحمد (١٥٤٦٠) من حديث عبد الرحمن بن خنيس ؓ.

فيه^(١). ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: قويٌّ على حملة، أمينٌ على ما فيه^(٢). ابن عباس: أمينٌ على فرج المرأة. ذكره المهدوي^(٣). فقال سليمان: أريدُ أسرعَ من ذلك. فـ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أكثرُ المفسرين على أن الذي عنده علمٌ من الكتاب آصف بن برخيا وهو من بني إسرائيل، وكان صديقاً يحفظُ اسمَ الله الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أُعْطِيَ، وإذا دُعِيَ به أجاب^(٤). وقالت عائشة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي دَعَا بِهِ آصَفُ بْنُ بَرَخِيَا: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»^(٥) قيل: وهو بلسانهم: أهيا شراهما. وقال الزُّهري: دعاء الذي عنده اسم الله الأعظم: يا إلهنا وإله كلِّ شيءٍ إلهاً واحداً لا إله إلا أنت، ايتني بعرشها. فمثلٌ بين يديه. وقال مجاهد: دعا فقال: يا إلهنا وإله كلِّ شيءٍ، يا ذا الجلال والإكرام^(٦). قال السُّهيلي^(٧): الذي عنده علمٌ من الكتاب هو آصف بن برخيا ابن خالة سليمان، وكان عنده اسم الله الأعظم من أسماء الله تعالى. وقيل: هو سليمان نفسه. ولا يصحُّ في سياق الكلام مثلُ هذا التأويل. قال ابن عطية^(٨): وقالت فرقة: هو سليمان عليه السلام، والمخاطبة في هذا التأويل للعفريت لما قال: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ كأنَّ سليمان استبطأ ذلك فقال له على جهة تحقيره: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ واستدلَّ قائلو هذه المقالة بقول سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾.

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٦٠ عن مجاهد وقتادة وابن منبّه، وأخرجه الطبري عنهم ١٨/٦٧ - ٦٨.

(٢) النكت والعيون ٤/٢١٢، والمحرر الوجيز ٤/٢٦٠.

(٣) وذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/٢١٣، وأخرجه الطبري ١٨/٦٨.

(٤) عرائس المجالس ص ٣٢٠، وهذا القول في تفسير الرازي ٢٤/١٩٧، ومجمع البيان ١٩/٢٢٥ عن

ابن عباس ؓ. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٩٠) من كلام ابن إسحاق.

(٥) لم تقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه أحمد (١٢٦١١) بسياق آخر من حديث أنس بن مالك ؓ.

(٦) مجمع البيان ١٩/٢٢٥، وقول الزهري ومجاهد أخرجهما الطبري ١٨/٦٩ - ٧٠، وابن أبي حاتم في

تفسيره (١٦٣٨٢) و(١٦٣٨٣).

(٧) في التعريف والإعلام ص ١٢٨.

(٨) في المحرر الوجيز ٤/٢٦١.

قلتُ: ما ذكره ابنُ عطية قاله النحَّاسُ في «معاني القرآن»^(١) له، وهو قولٌ حسنٌ إن شاء الله تعالى. قال ابن^(٢) بحر: هو مَلَكٌ^(٣) بيده كتاب المقادير، أرسله الله عند قول العفريت. قال السَّهيليُّ^(٤): وذكر محمد بن الحسن المقرئ أنه ضَبَّه بن أد، وهذا لا يَصِحُّ البتَّة؛ لأنَّ ضَبَّه هو ابن أد بن طابخة، واسمه عمرو بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدِّ، ومَعَدُّ كان في مدة بَخْتَنَصَّر، وذلك بعد عهد سليمان بدهرٍ طويل، فإذا لم يكن مَعَدُّ في عهد سليمان، فكيف ضَبَّه بن أد وهو بعده بخمسة آباء؟! وهذا بَيِّنٌ لمن تأمله.

ابن لهيعة: هو الخَضِر عليه السلام^(٥). وقال ابن زيد: الذي عنده علم من الكتاب رجلٌ صالحٌ كان في جزيرة من جزائر البحر، خرج ذلك اليوم ينظرُ مَنْ ساكِنُ الأرض، وهل يعبدُ الله أم لا؟ فوجد سليمان، فدعا باسم من أسماء الله تعالى فجيء بالعرش^(٦). وقول سابع: إنَّه رجلٌ من بني إسرائيل اسمه يملِخا كان يعلم اسمَ الله الأعظم. ذكره القشيري^(٧). وقال ابنُ أبي بَرَّة: الرجل الذي كان عنده علمٌ من الكتاب اسمه أسطوم، وكان عابداً في بني إسرائيل. ذكره الغزنوي^(٨). وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان عليه السلام؛ أما إنَّ الناسَ يروْنَ أنَّه كان معه اسمٌ وليس ذلك كذلك، إنَّما كان رجلٌ من بني إسرائيل عالمٌ آتاه الله علماً وفقهاً قال: ﴿أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال: هات. قال: أنت نبيُّ الله ابن نبيِّ الله، فإن دعوت

(١) ١٣٤/٥ .

(٢) كلمة «ابن» ليست في (ز) و(م).

(٣) النكت والعيون ٢١٤/٤ .

(٤) في التعريف والإعلام ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٥) كرامات الأولياء لللاكثاني ص ٧٢ ، والنكت والعيون ٢١٣/٤ ، والمحرر الوجيز ٢٦١/٤ .

(٦) عرائس المجالس ص ٣٢١ ، وزاد المسير ١٧٥/٦ .

(٧) وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٢٢٦/١٩ عن مجاهد.

(٨) وأخرجه اللاكثاني في كرامات الأولياء (٢٤) . وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ٣٢١ .

الله جاءك به، فدعا الله سليمانُ فجاءه الله بالعرش^(١). وقول ثامن: إنه جبريلُ عليه السلام. قاله النَّخعي وروِيَ عن ابن عباس^(٢). وعِلْمُ الكتاب على هذا: عِلْمُهُ بكتب الله المُنزَّلة، أو بما في اللوح المحفوظ. وقيل: علم كتاب سليمان إلى بلقيس^(٣). قال ابن عطية: والذي عليه الجمهور من الناس أنه رجلٌ صالحٌ من بني إسرائيل اسمه آصف بن برخيا؛ روي أنه صَلَّى ركعتين، ثم قال لسليمان: يا نبيَّ الله، امددْ بصرَكَ. فمدَّ بصره نحو اليمن، فإذا بالعرش، فما ردَّ سليمانُ بصره إلَّا وهو عنده^(٤). قال مجاهد: هو إدامة النظر حتى يرتدَّ ظرْفُه خاسئاً حسيراً^(٥). وقيل: أراد مقدار ما يفتح عينه ثم يطرف، وهو كما تقول: افعَل كذا في لحظة عين. وهذا أشبه^(٦)؛ لأنَّه إن كان الفعلُ من سليمان فهو معجزة، وإن كان من آصف أو من غيره من أولياء الله فهي كرامة، وكرامة الوليِّ معجزة النبيِّ. قال القشيريُّ: وقد أنكرَ كراماتِ الأولياء مَنْ قال: إنَّ الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب هو سليمان، قال للعفريت: ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ ظَرْفُكَ﴾. وعند هؤلاء ما فعل العفريتُ فليس من المعجزات ولا من الكرامات، فإنَّ الجِنَّ يقدرُون على مثل هذا. ولا يقطعُ جوهرٌ في حالٍ واحدةٍ مكانين، بل يُتصوَّرُ ذلك بأنَّ يَعِدِمَ اللهُ الجوهرَ في أقصى الشرق ثم يُعيده في الحالة الثانية، وهي الحالة التي بعد العدم في أقصى الغرب. أو يَعِدِمُ الأماكنَ المتوسطة ثم يعيدها. قال القشيري: ورواه ابن^(٧) وهب عن مالك. وقد قيل: بل جيء به في الهواء.

(١) عرائس المجالس ص ٣٢١، وتفسير البغوي ٤٢٠/٣، وزاد المسير ١٧٥/٦.

(٢) معاني القرآن للنحاس ١٣٤/٥، والمححر الوجيز ٢٦١/٤.

(٣) مجمع البيان ٢٢٦/١٩.

(٤) المححر الوجيز ٢٦١/٤.

(٥) الوسيط ٣٧٨/٣، وتفسير البغوي ٤٢٠/٣، وزاد المسير ١٧٥/٦. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٩٤).

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٢١/٤.

(٧) كلمة «بن» من (ز) و(ظ).

قاله مجاهد. وكان بين سليمان والعرش كما بين الكوفة والحيرة^(١). وقال مالك: كانت باليمن وسليمان عليه السلام بالشام^(٢). وفي التفاسير: انخرق بعرش بلقيس مكانه الذي هو فيه، ثم نبغ بين يدي سليمان^(٣)؛ قال عبد الله بن شداد: وظهر العرش من نفق تحت الأرض^(٤). فالله أعلم أي ذلك كان.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُمْ﴾ أي: ثابتاً عنده. ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا النصر والتمكين من فضل ربي^(٥). ﴿لِيَبْلُوكَ﴾ قال الأخفش: المعنى: لينظر الابتلاء: الاختبار، أي: ليختبرني أشكر نعمته أم أكفرها ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لا يرجع نفع ذلك إلا إلى نفسه، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها. والشكر قيد النعمة الموجودة، وبه تُنال النعمة المفقودة^(٦). ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ﴾ أي: عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ في التفضل^(٨).

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرَشَهَا نَنْظُرَ أَنهَدِيَّ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوَيْنَا الْعَلَمَ مِنْ قِبَلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرَشَهَا﴾ أي: غيروه. قيل: جعل أعلاه أسفله، وأسفله

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٦٠.

(٢) النكت والعيون ٤/٢١٤. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٨٦) و(١٦٤٠٣).

(٣) الوسيط ٣/٣٧٨ عن ابن إسحاق. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٨٩).

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥/١٣٦. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٩١).

(٥) الوسيط ٣/٣٧٨.

(٦) إعراب القرآن ٣/٢١٢. وكلام الأخفش في معاني القرآن ٢/٦٥٠.

(٧) تفسير البغوي ٣/٤٢٠.

(٨) النكت والعيون ٤/٢١٤.

أعلاه. وقيل: غَيْرُ بزيادةٍ أو نقصان^(١). قال الفراء وغيره: إِنَّمَا أمر بتكبيره لأنَّ الشياطين قالوا له: إنَّ في عقلها شيئاً فأراد أن يمتحنها^(٢). وقيل: خافتِ الجِنُّ أن يتزوَّج بها سليمان فيولد له منها ولدٌ، فيبقون مسخَّرين لآل سليمان أبداً، فقالوا لسليمان: إنَّها ضعيفةُ العقل، ورجلُها كرجل الحمار. فقال: ﴿نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ لتعرف عقلها^(٣). وكان لسليمان ناصحٌ من الجِنِّ، فقال: كيف لي أن أرى قدميها من غير أن أسألها كشفها؟ فقال: أنا أجعلُ في هذا القصر ماءً، وأجعلُ فوق الماء زجاجاً، تظنُّ أنه ماءٌ فترفع ثوبها فتري قدميها، فهذا هو الصرح الذي أخبر الله تعالى عنه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ يريد بلقيس، ﴿قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ شبَّهته به لأنها خلفته تحت الأغلاق، فلم تُقرِّرْ بذلك ولم تُنكِرْ، فعَلِمَ سليمانُ كمالَ عقلها. قال عكرمة: كانت حكيمةً فقالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾. وقال مقاتل: عرَفْتَهُ ولكن شبَّهتْ عليهم كما شبَّهوا عليها، ولو قيل لها: أهذا عرشك لقاتل: نعم هو^(٤). وقاله الحسين^(٥) بن الفضل أيضاً^(٦). وقيل: أراد سليمان أن يُظهرَ لها أنَّ الجِنِّ مُسَخَّرُونَ له، وكذلك الشياطين لتعرف أنها نبوةٌ وتؤمن به. وقد قيل: هذا في مقابلة تعميتها الأمر في باب الغلمان والجواري.

﴿وَأَوْتَيْنَا أَلْعَمْرُ مِنْ قَبْلِهَا﴾ قيل: هو من قول بلقيس، أي: أوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ مُنْقَادِينَ لأمره. وقيل: هو من قول

(١) معاني القرآن للنحاس ١٣٦/٥ .

(٢) إعراب القرآن ٢١٢/٣ . وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢٩٤/٢ .

(٣) عرائس المجالس ص ٣٢١ عن وهب بن منبه ومحمد بن كعب.

(٤) تفسير البغوي ٤٢١/٣ .

(٥) المثبت من (ظ)، وفي بقية النسخ: الحسن.

(٦) عرائس المجالس ص ٣٢٢ .

سليمان، أي: أوتينا العلم بقدرة الله على ما يشاء من قَبْلِ هذه المرأة^(١). وقيل: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ بإسلامها ومجيئها طائعةً من قَبْلِ مجيئها^(٢). وقيل: هو من كلام قوم سليمان^(٣). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الوقف على «مِنْ دُونِ اللَّهِ» حسنٌ، والمعنى: منعها من أن تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر، فـ «ما» في موضع رفع^(٤). النحّاس^(٥): المعنى: أي: صدّها عبادتها من دون الله وعبادتها إياها عن أن تعلم ما علمناه عن أن تسلم^(٦). ويجوز أن تكون «ما» في موضع نصب، ويكون التقدير: وصدّها سليمانُ عمّا كانت تعبد من دون الله، أي: حالَ بينها وبينه. ويجوز أن يكون المعنى: وصدّها الله، أي: منعها الله عن عبادتها غيره، فحذفت «عن» وتعدى الفعل. نظيره ﴿وَأَخَذْنَا مِثْلَ مِثْلِ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: من قومه. وأنشد سيبويه:

وَنُبِّئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بِالْجَوْ أَصْبَحْتُ كِرَاماً مَوَالِيهَا لَثِيماً صَمِيمُهَا^(٧)

وزعم أن المعنى عنده نُبِّئْتُ عن عبد الله. ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ قرأ سعيد بن جبير: «أنها» بفتح الهمزة^(٨)، وهي في موضع نصبٍ بمعنى: لأنّها. ويجوز أن يكون بدلاً من «ما» فيكون في موضع رفعٍ إن كانت «ما» فاعلةً الصّدِّ. والكسرُ على الاستئناف.

(١) في (م): المرة.

(٢) تفسير البغوي ٤٢١/٣، وزاد المسير ١٧٨/٦.

(٣) النكت والعيون ٢١٥/٤.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢.

(٥) في إعراب القرآن ٢١٢/٣ - ٢١٣.

(٦) عبارة: «عن أن تسلم» من (م) وإعراب القرآن.

(٧) الكتاب ٣٩/١ ونسبه للفرزدق. وصميم الشيء: خالصه. الصحاح (صمم).

(٨) وهي في الشاذة ص ١١٠.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَمَا آدَخِلِيَ الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ لُجَّةً وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَمَا آدَخِلِيَ الصَّرْحَ﴾ التقدير عند سيبويه: ادخلي إلى الصرح، فحذفت إلى وعدى الفعل. وأبو العباس يُغلطه في هذا؛ قال: لأن دخل يدل على مدخول^(١). وكان الصرح صحناً من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان^(٢)، عمله ليربها ملكاً أعظم من ملكها. قاله مجاهد^(٣). وقال قتادة: كان من قوارير خلفه ماء ﴿حَسِبْتَهُ لُجَّةً﴾ أي: ماء^(٤). وقيل: الصرح القصر. عن أبي عبيدة^(٥). كما قال:

تَحْسِبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا^(٦)

وقيل: الصرح: الصحن، كما يُقال: هذه صرحة الدار وقاعتها، بمعنى. وحكى أبو عبيد^(٧) في الغريب المُصنَّف أنَّ الصرح: كلُّ بناءٍ عالٍ مرتفعٍ من الأرض، وأنَّ الممرَّد: الطويل. النحاس: أصلُ هذا أنه يُقال لكلِّ بناءٍ عُمِلَ عملاً واحداً: صرح؛ من قولهم: لبنٌ صريح إذا لم يشبه ماء، ومن قولهم: صرح بالأمر، ومنه: عربيٌّ صريح^(٨). وقيل: عمله ليختبر قول الجن فيها: إنَّ أمه من الجن، ورجلها رجل حمار. قاله وهب بن منبه^(٩). فلَمَّا رَأَتْ اللُّجَّةَ فزَعَتْ وظنَّتْ أنه قصد بها الغرق، وتعجبت من

(١) إعراب القرآن ٢١٣/٣.

(٢) تفسير البغوي ٤٢٢/٣.

(٣) ذكره ابن الجوزي ١٧٨/٦ عن وهب بن منبه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٨٢/٢، والطبري ٨٣/١٨.

(٥) في مجاز القرآن ٩٥/٢.

(٦) عجز لبيت، صدره: على طرقي كنعور الأطباء. وقائله أبو ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١٣٦/١.

(٧) في (م): أبو عبيدة.

(٨) من قوله: وقال قتادة... إلى هذا الموضع من معاني القرآن للنحاس ١٣٨/٥ - ١٣٩.

(٩) عرائس المجالس ص ٣٢١.

كونِ كرسِيَّه على الماء، ورأَتْ ما هالَها، ولم يكن لها بُدٌّ من امتثال الأمر. ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ فإذا هي أحسنُ الناسِ ساقاً، سليمةٌ ممّا قالتِ الجِنُّ، غيرَ أنّها كانت كثيرةَ الشعرِ، فلَمّا بلغت هذا الحدَّ، قال لها سليمان بعد أن صرفَ بصره عنها: ﴿إِنَّهُ صَرَخٌ مُّمَرَّدٌ مِّنَ قَوَارِيرٍ﴾ والممرد: المحكوكُ المملّسُ، ومنه الأمرد^(١). وتمرّد الرجلُ إذا أبطأ خروجُ لحيته بعد إدراكه. قاله الفراء. ومنه الشجرة المرداء التي لا ورق عليها. ورملةٌ مرداءٌ إذا كانت لا تُثبِتُ. والممرد أيضاً: المُطوّلُ، ومنه قيل للحصن: مارد^(٢). أبو صالح: طويلٌ على هيئة النخلة^(٣). ابن شجرة: واسعٌ في طوله وعرضه. قال: غدوتُ صباحاً باكراً فوجدتُهُم قُبيلاً الضُّحى في السَّابريِّ^(٤) المُمَرَّدِ^(٥) أي: الدروع الواسعة. وعند ذلك استسلمتُ بلقيسُ وأذعنت وأسلمت وأقرتُ على نفسها بالظلم، على ما يأتي.

ولمّا رأى سليمانُ عليه السلام قدميها قال لِناصِحِه من الشياطين: كيفَ لي أن أقْلَع هذا الشعرَ من غير مضرّةٍ بالجسد؟ فدلّه على عملِ النُورَةِ، فكانتِ النُورَةُ والحَمَاماتُ من يومئذٍ^(٦). فيُروى أن سليمان تزوّجها عند ذلك وأسكنها الشام. قاله الضحاك. وقال سعيد بن عبد العزيز في كتاب النقّاش: تزوّجها وردّها إلى ملكها باليمن، وكان يأتيها على الريح كلَّ شهرٍ مرة؛ فولدت له غلاماً سمّاه داود مات في زمانه^(٧). وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ قال: «كانت بلقيسُ من أحسنِ نساء العالمين ساقين، وهي من أزواج سليمان عليه السلام في الجنة» فقالت عائشة: هي أحسنُ

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٦٢.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/١٣٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٤٤) بلفظ: الممرد الطويل.

(٤) أي: الرقيق من الثياب. اللسان (سير).

(٥) النكت والعيون ٤/٢١٧.

(٦) الوسيط ٣/٣٧٩.

(٧) المحرر الوجيز ٤/٢٦٢.

ساقين مني؟ فقال عليه الصلاة والسلام: « أنت أحسن ساقين منها في الجنة » ذكره القشيري^(١). وذكر الثعلبي^(٢) عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: « أول من اتخذ الحمّامات سليمان بن داود، فلما ألصق ظهره إلى الجدار فمسّه حرّها قال: أوّاه من عذاب الله »^(٣). ثم أحبّها حباً شديداً وأقرّها على ملكها باليمن، وأمر الجنّ فبنوا لها ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً: سلحون ويئون وغمدان، ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام.

وحكى الشعبي أن ناساً من حمير حفروا مقبرة الملوك، فوجدوا فيها قبراً معقوداً، فيه امرأة عليها حُلٌّ منسوجة بالذهب، وعند رأسها لوح رخام فيه مكتوب:

يا أيها الأقبامُ عوجوا معاً وأزبِعوا في مَقْبَرِي العِيسَا
لتعلموا أنّي تلك التي قد كنتُ أدعى الدهرَ بلْقِيسَا
شيدتُ قصرَ المُلكِ في حمير قَوْمِي وقدماً كان مأنوسَا
وكنتُ في مُلكي وتدبيره أزرعُ في اللهِ المَعَاطِيسَا
بغلي سليمان النبي الذي قد كان للتوراةِ دريسَا
وسخرَ الريحُ له مركباً تهبُّ أحياناً زواميسَا
مع ابنِ داودَ النبي الذي قدسهُ الرحمنُ تقديسَا^(٤)

وقال محمد بن إسحاق ووهب بن منبه: لم يتزوجها سليمان، وإنما قال لها:

(١) وذكره أبو الليث في تفسيره ٤٩٨/٢ من غير إسناد.

(٢) في عرائس المجالس ص ٣٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٤٠/١٤، والعقيلي في الضعفاء ٦٨/١ و٨٤، والطبراني في الأوسط (٤٦٤)، وابن عدي في الكامل ٢٨٣/١، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٥٦٦) من طريق إبراهيم بن مهدي، عن عمر بن عبد الرحمن، عن إسماعيل بن عبد الرحمن الأودي، عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه مرفوعاً. قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وإسماعيل أحاديثه منكزة، وإبراهيم بن مهدي ضعيف.

(٤) النكت والعيون ٢١٧/٤ - ٢١٨.

اختاري زوجاً. فقالت: مثلي لا يُنكحُ وقد كان لي من الملك ما كان. فقال: لا بُدَّ في الإسلام من ذلك. فاختارت ذا تُبَّع ملك همدان، فزوجه إياه وردها إلى اليمن، وأمر زوبعة أمير جنِّ اليمن أن يُطيعه، فبنى له المصانع، ولم يزل أميراً حتى مات سليمان عليه السلام^(١). وقال قومٌ: لم يرد فيه خبرٌ صحيحٌ لا في أنه تزوجها ولا في أنه زوجها. وهي بلقيس بنت السرح بن الهدهد بن شراحيل بن أدد بن حدر بن السرح بن الحارث^(٢) بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ^(٣) بن سام بن نوح. وكان جدُّها الهدهد ملكاً عظيماً الشأن قد ولد له أربعون ولداً كلُّهم ملوك، وكان ملك أرض اليمن كلها، وكان أبوها السرح يقول لملوك الأطراف: ليس أحدٌ منكم كفواً لي، وأبى أن يتزوج منهم، فزوجه امرأة من الجنِّ يقال لها ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقمة وهي بلقيس، ولم يكن له ولدٌ غيرها. وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «كان أحدُ أبوي بلقيس جنياً»^(٤) فمات أبوها، واختلف عليها قومها فرقتين، وملكوا أمرهم رجلاً فساءت سيرته، حتى فجر بنساء رعيته، فأدركت بلقيس العيرة، فعرضت عليه نفسها فتزوجها، فسقته الخمر حتى حزت رأسه، ونصبته على باب دارها، فملكوها. وقال أبو بكر: ذكرت بلقيس عند النبي ﷺ فقال: «لا يُفليح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة»^(٥). ويُقال: إن سبب تزوج أبيها من الجنِّ أنه كان وزيراً لملكٍ عاتٍ يغتصب نساء الرعية، وكان الوزير غيوراً فلم يتزوج، فصحب مرّة في الطريق رجلاً لا يعرفه، فقال: هل لك من زوجة؟ فقال: لا أتزوج أبداً، فإنَّ ملك بلدينا يغتصب النساء من أزواجهنَّ. فقال: لئن تزوجت ابنتي لا

(١) عرائس المجالس ص ٣٢٣.

(٢) في (م): الحرس.

(٣) في (م): أرفخشذ.

(٤) أخرجه الطبري ٨٣/١٨، وابن عدي في الكامل ١٢٠٩/٣، وأبو الشيخ في العظمة (١١١٣). وفي إسناده سعيد بن بشير، وهو ضعيف. التقريب.

(٥) عرائس المجالس ص ٣١٥، والحديث سلف ٤٢/٢.

يَغْتَصِبُهَا أَبَدًا. قَالَ: بَلْ يَغْتَصِبُهَا. قَالَ: إِنَّا قَوْمٌ مِنَ الْجِنِّ لَا يَقْدِرُ عَلَيْنَا. فَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ، فولدت له بلقيس، ثم ماتت الأم وابتنت بلقيس قصرًا في الصحراء، فتحدت أبوها بحديثها غلطًا، فَنَمِيَ للملك خبرها، فقال له: يا فلان، تكون عندك هذه البنت الجميلة وأنت لا تأتيني بها، وأنت تعلم حُبِّي للنساء؟! ثم أمر بحبسها، فأرسلت بلقيس إليه أي بين يديك. فتجهَّز للمسير إلى قصرها، فلما همَّ بالدخول بمن معه أخرجت إليه الجواري من بنات الجن مثل صورة الشمس، وقُلْنَ له: ألا تستحي؟! تقول لك سيدتنا: أتدخلُ بهؤلاء الرجال معك على أهلك؟! فأذن لهم بالانصراف ودخل وحده، وأغلقت عليه الباب وقتلته بالنعال، وقطعت رأسه، ورمت به إلى عسكره، فأمرَوها عليهم، فلم تزل كذلك إلى أن بلغ الهددُ خبرها سليمان عليه السلام. وذلك أن سليمان لما نزل في بعض منازلها قال الهدد: إن سليمان قد اشتغل بالنزول، فأرتفع نحو السماء فأبصر طول الدنيا وعرضها. فأبصر الدنيا يمتًا وشمالًا، فرأى بستانًا لبلقيس فيه هدهد، وكان اسم ذلك الهدد عُفير، وكان اسم هدهد سليمان يعفور^(١)، فقال عُفير اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت؟ وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام. قال: ومن سليمان؟ قال: ملك الجن والإنس والشياطين والطيور والوحش والريح وكل ما بين السماء والأرض. فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلاد؛ ملكها امرأة يُقال لها: بلقيس، تحت يديها اثنا عشر ألف قَيْل، تحت يد كل قَيْلٍ مئة ألف مقاتلٍ من سوى النساء والذراري، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، ورجع إلى سليمان وقت العصر، وكان سليمان قد فقده وقت الصلاة فلم يجده، وكانوا على غير ماء. قال ابن عباس في رواية: وقعت عليه نفحة من الشمس. فقال لوزير الطير: هذا موضع من؟ قال: يا نبي الله، هذا موضع الهدد. قال: وأين ذهب؟ قال: لا أدري أصلح الله الملك. فغضب سليمان وقال: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ الآية. ثم دعا بالعقاب سيد الطير وأصرمها وأشدّها بأسًا

(١) عبارة: «وكان اسم هدهد سليمان يعفور» من (ظ).

فقال: ما تريد يا نبيي الله؟ فقال: عليّ بالهدهد الساعة. فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى لزق بالهواء، فنظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم، فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو^(١) اليمن، فانقضّ نحوه، وأنشَبَ فيه مخالبه. فقال له الهدهد: أسألك بالله الذي أقدرك وقواك عليّ إلا رحمتني. فقال له: الويلُ لك، وثكلتُك أمك! إن نبيي الله سليمان حلف أن يُعذّبك أو يذبحك. ثم أتى به فاستقبلته النُسورُ وسائرُ عساكر الطير. وقالوا: الويل لك، لقد توعدك نبيي الله. فقال: وما قدرني وما أنا؟ أما استثنى؟ قالوا: بلى، إنه قال: ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي سُلْطٰنٌ مِّبِينٌ﴾ ثم دخل على سليمان فرفع رأسه، وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعاً لسليمان عليه السلام، فقال له سليمان: أين كنتَ عن خدمتِكَ ومكانِكَ؟ لأُعذّبَنَّكَ عذاباً شديداً أو لأذبحَنَّكَ. فقال له الهدهد: يا نبيي الله، اذكرُ وقوفك بين يدي الله بمنزلة وقوفي بين يديك. فاقشعرَّ جلدُ سليمان وارتعد، وعفا عنه. وقال عكرمة: إنّما صرف الله سليمان عن ذبح الهدهد أنه كان باراً بوالديه، ينقل الطعام إليهما فيزقهما. ثم قال له سليمان: ما الذي أبطأ بك؟ فقال الهدهد ما أخبر الله عن بلقيس وعرشها وقومها^(٢) حسبما تقدّم بيانه. قال الماوردي^(٣): والقول بأنّ أم بلقيس جنيةٌ مُستنكرةٌ من العقول؛ لتباين الجنسين، واختلاف الطبعين، وتفاوت الجسمين^(٤)؛ لأنّ الآدمي جسمانيّ والجنّ روحانيّ، وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار، وخلق الجنّ من مارج من نار، ويمتنع^(٥) الامتزاج مع هذا التباين، ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف.

قلت: قد مضى القول في هذا، والعقل لا يُحيله مع ما جاء من الخبر في ذلك،

(١) في (م): نحن.

(٢) من قوله: وذلك أن سليمان لما نزل... إلى هذا الموضع من عرائس المجالس ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٣) في النكت والعيون ٢١٦/٤.

(٤) المثبت من النكت والعيون. وفي (د): وتعارف الجسمين. وفي (ز): وتفارق الجسمين. وفي (ط):

وتفارق الجنسين. وفي (م): وتفارق الجسمين.

(٥) المثبت من النكت والعيون و(ط). وفي بقية النسخ: ويمتنع.

وإذا نظر في أصل الخلق فأصله الماء على ما تقدّم بيانه، ولا بُغْدَ في ذلك، والله أعلم. وفي التنزيل: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء: ٦٤] وقد تقدّم. وقال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِشْقَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانًّا﴾ على ما يأتي في «الرحمن» [الآية: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بالشرك الذي كانت عليه. قاله ابن شجرة. وقال سفيان: أي: بالظن الذي توهمته في سليمان؛ لأنها لما أمرت بدخول الصرح حسبته لُجَّةً، وأن سليمان يريد تغريقها فيه. فلما بان لها أنه صرح مُمرّد من قوارير علمت أنها ظلمت نفسها بذلك الظن^(١). وكسرت «إن» مُبتدأة بعد القول. ومن العرب مَنْ يفتحها فيعملُ فيها القول. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذا سَكَنْتَ «مع» فهي حرفٌ جاء لمعنى بلا اختلاف بين التَّحْوِيلِينِ، وإذا فَتَحَتْهَا ففيها قولان: أحدهما: أنه بمعنى الظرف اسمٌ. والآخر: أنه حرفٌ خافضٌ مبنيٌّ على الفتح. قاله النَّحَّاسُ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ لَا سَتَعْمَلُونَ بِالسَّبِئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا سَتَعْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيزْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ قَالَ طَبِّئْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ تقدّم معناه^(٣). ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ قال مجاهد: أي: مؤمن وكافر. قال: والخصومة ما قصّه الله تعالى في قوله: ﴿أَتَسْلُمُونَ أَنتَ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿كُفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥]. وقيل: تخاصمهم أن كل فرقة قالت: نحن على الحق دونكم^(٤).

(١) النكت والعيون ٢١٧/٤.

(٢) في إعراب القرآن ٢١٣/٣.

(٣) ٢٦٦/٩ - ٢٦٧.

(٤) معاني القرآن للنحاس ١٣٩/٥ - ١٤٠، والنكت والعيون ٢١٨/٤. وقول مجاهد أخرجه الطبري ٨٦/١٨.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قال مجاهد: بالعذاب قبل الرحمة^(١)؛ المعنى: لِمَ تُوَخَّرُونَ الإيمانَ الذي يجلب إليكم الثواب، وتُقدِّمون الكفرَ الذي يُوجبُ العقاب، فكان الكفار يقولون لفرط الإنكار: ايتنا بالعذاب. وقيل: أي: لِمَ تفعلون ما تستحقُّون به العقاب، لا أنهم التمسوا تعجيل العذاب. ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ أي: هَلَّا تتوبون إلى الله من الشرك^(٢). ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي تُرحموا. وقد تقدم^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي: تشاء منا^(٤). والشؤم النحس. ولا شيء أضرُّ بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظنَّ أنَّ حُورَ بقره أو نعيق غرابٍ يردُّ قضاءً، أو يدفع مقدوراً، فقد جهل. وقال الشاعر:

طِيرَةُ الدَّهْرِ^(٥) لَا تُرَدُّ قِضَاءً فَاغْذِرِ الدَّهْرَ لَا تَشْبِهْهُ بَلْوَمِ
أَيُّ يَوْمٍ تَخْصُصُهُ بِسَعُودٍ وَالْمَنَايَا يَنْزِلْنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ
لَيْسَ يَوْمٌ إِلَّا وَفِيهِ سَعُودٌ وَنَحُوسٌ تَجْرِي لِقَوْمٍ فِقُومِ

وقد كانت العربُ أكثرَ الناس طيرةً، وكانت إذا^(٦) أرادت سفراً نفرت طائراً، فإذا طار يَمَنَةٌ سارت وتيمَّنت، وإن طارَ شمالاً رجعت وتشاءمت، فنهى النبي ﷺ عن ذلك وقال: «أَفَرُّوا الطيرَ على وُكُنَاتِهَا»^(٧) على ما تقدَّم بيأنه في «المائدة»^(٨).

(١) المصادر السابقة.

(٢) الوسيط ٣/٣٨٠، وزاد المسير ٦/١٨٠.

(٣) ٣٤٢/١ و٣١٢/٥.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥/١٤٠ عن مجاهد.

(٥) في أدب الدنيا والدين: الناس.

(٦) في أدب الدنيا والدين: وقد كانت الفرس أكثر الناس طيرة، وكانت العرب إذا.

(٧) أدب الدنيا والدين ص ٢٨٧ - ٢٨٨. والحديث سلف ٩/٣٠٦ بلفظ: «أفروا الطير على وكناتها».

والوكن: ماوى الطير في غير عش. اللسان (وكن).

(٨) ٢٩٠ - ٢٩١/٧.

﴿قَالَ طَطَّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: مصائبكم^(١). ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي: تُمتحنون.
وقيل: تُعذبون بذنوبكم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سِتْعَةٌ رَهَطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾
﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: في مدينة صالح وهي الحجر^(٣) ﴿سِتْعَةٌ رَهَطٌ﴾ أي: تسعة رجال من أبناء أشرافهم^(٤). قال الضحَّاك: كان هؤلاء التسعة عظماء أهل المدينة، وكانوا يفسدون في الأرض ويأمرون بالفساد، فجلسوا عند صخرة عظيمة فقلَّبها الله تعالى عليهم^(٥). وقال عطاء بن أبي رباح: بلغني أنهم كانوا يُقرضون الدنانير والدراهم^(٦). وذلك من الفساد في الأرض. وقاله سعيد بن المسيَّب. وقيل: فسأدهم أنهم يتبعون عورات الناس ولا يسترون عليهم^(٧). وقيل غير هذا. واللازم من الآية ما قاله الضحَّاك وغيره أنهم كانوا من أوجه القوم وأقنابهم وأغناهم، وكانوا أهل كفرٍ ومعاصٍ جمَّة، وجملة أمرهم أنهم يفسدون ولا يصلحون. والرَّهَطُ اسمٌ للجماعة، فكأنَّهم كانوا رؤساء يتبع كل واحدٍ منهم رهط. والجمع أرهط وأراهط. قال:

يَا بؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَا حُوا^(٨)

(١) النكت والعيون ٢١٨/٤. وأخرجه الطبري ٨٨/١٨ عن ابن عباس ؓ.

(٢) الكشف ١٥١/٣.

(٣) تفسير أبي الليث ٤٩٩/٢.

(٤) تفسير البغوي ٤٢٣/٣.

(٥) إعراب القرآن ٢١٤/٣.

(٦) معاني القرآن للنحاس ١٤١/٥، والمحرم الوجيز ٢٦٣/٤.

(٧) النكت والعيون ٢٢٠/٤.

(٨) تهذيب اللغة ١٧٦/٦. والبيت قائله سعد بن مالك بن ضبيعة، وهو في معجم الشعراء ص ١٤، وشرح

ديوان الحماسة ٥٠٠/٢.

وهؤلاء المذكورون كانوا أصحاب قُدار عاقِرِ الناقة. ذكره ابن عطية^(١).

قلت: واختلِفَ في أسمائهم، فقال الغزنوي: وأسماءهم: قُدار بن سالف ومِضدَع وأسلم ودهمي ودهيم ودعمي ودعيم وقتال وصدّاق. ابن إسحاق: رأسهم قُدار بن سالف ومِضدَع بن مِهْرَع، فاتبعهم سبعة، هم: بلع بن ميلع ودعير بن غنم وذؤاب بن مهرج وأربعة لم تُعرَفَ أسماءهم. وذكر الزمخشري^(٢) أسماءهم عن وهب ابن منبّه: الهذيل بن عبد رب، غنم بن غنم، رباب بن مهرج، مصدع بن مهرج، عمير ابن كردبة، عاصم بن مخرمة، سبيط بن صدقة، سمعان بن صفي، قُدار بن سالف، وهم الذين سعوا في عقر الناقة، وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرفهم. السُهيلي^(٣): ذكر النقاش التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وسَمَّاهم بأسمائهم، وذلك لا ينضبط برواية، غيرَ أني أذكره على وجه الاجتهاد والتخمين، ولكن نذكره على ما وجدناه في كتاب محمد بن حبيب، وهم: مِضدَع بن دهر - ويقال: دهم - وقُدار بن سالف، وهريم وصواب ورياب وداب ودعمي وهرمي ورعين بن عمير.

قلت: وقد ذكر الماوردي^(٤) أسماءهم عن ابن عباس فقال: هم دعمي ودعيم وهرمي وهريم وداب وصواب ورياب ومسطح وقُدار، وكانوا بأرض الحجر وهي أرض الشام.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ يجوز أن يكون «تَقَاسَمُوا» فعلاً مستقبلاً وهو أمر، أي: قال بعضهم لبعض: احلفوا. ويجوز أن يكون ماضياً في معنى الحال، كأنه قال: قالوا متقاسمين بالله، ودليل هذا التأويل قراءة عبد الله: «يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ. تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ» وليس فيها «قالوا»^(٥). ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ نُدَّ

(١) في المحرر الوجيز ٤/٢٦٣.

(٢) في الكشف ٣/١٥١ - ١٥٢.

(٣) في التعريف والإعلام ص ١٢٩.

(٤) في النكت والعيون ٤/٢١٩.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٦٣ نقله عن الطبري، وهو في تفسيره ٨٨/٩٠ - ٩١ بنحوه. وقراءة عبد الله =

لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ﴿١﴾ قراءة العامة بالنون فيهما، واختاره أبو حاتم. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء فيهما، وضمَّ التاءِ واللَّامِ على الخطاب^(١) أي: أنهم تخاطبوا بذلك. واختاره أبو عبيد. وقرأ مجاهد وحُميد بالياءِ فيهما، وضمَّ الياءِ واللَّامِ على الخبر^(٢). والبياتُ: مُباغِةُ العدوِّ ليلًا^(٣). ومعنى ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ ﴿١﴾ أي: لرهط صالح الذي له ولاية الدم. ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ ﴿٢﴾ أي: ما حضرنا، ولا ندري مَنْ قَتَلَهُ وَقَتَلَ أَهْلَهُ. ﴿وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ في إنكارنا لقتله^(٤). والمُهْلَكُ بمعنى الإهلاك، ويجوز أن يكون الموضع^(٥). وقرأ عاصم^(٦) والسُّلميُّ بفتح الميم واللام، أي: الهلاك؛ يُقال: ضربَ يَضْرِبُ مَضْرِبًا أَي: ضَرْبًا. وقرأ المُفَضَّلُ وحفص^(٧) بفتح الميم وجرَّ اللام، فيكونُ اسْمَ المكانِ^(٨)، كالمجلس لموضع الجلوس، ويجوز أن يكون مصدرًا، كقوله تعالى: إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴿٤﴾ أي: رجوعكم.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمِينَ ﴿٥١﴾ فَنِلْكَ بِيَوْمِهِمْ حَاوِيَةً يَمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مكرهم ما روي أنَّ هؤلاء

= هذه شاذة.

(١) السبعة ص ٤٨٣، والتيسير ص ١٦٨.

(٢) زاد المسير ٦/١٨١ - ١٨٢ ونقلها أيضاً عن أبي رجاء، وهي قراءة شاذة.

(٣) الكشاف ٣/١٥٢.

(٤) النكت والعيون ٤/٢٢٠.

(٥) إعراب القرآن ٣/٢١٥.

(٦) في رواية أبي بكرٍ عنه كما في السبعة ص ٤٨٣، والتيسير ص ١٤٤. ووقع في النسخ: وقرأ حفص. وهو خطأ؛ لأنَّ حفصاً يقرأ بفتح الميم وكسر اللام كما سيأتي.

(٧) في النسخ: وأبو بكر. والتصويب من السبعة ص ٤٨٣، والتيسير ص ١٤٤.

(٨) الوسيط ٣/٣٨٠ - ٣٨١، وزاد المسير ٦/١٨٢.

التَّسْعَةَ لَمَّا كَانَ فِي صَدْرِ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ بَعْدَ عَقْرِ النَّاقَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَهُمْ صَالِحٌ بِمَجِيءِ الْعَذَابِ، اتَّفَقُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوا دَارَ صَالِحٍ لَيْلاً وَيَقْتُلُوهُ وَأَهْلَهُ الْمُخْتَصِّصِينَ بِهِ؛ قَالُوا: فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فِي وَعِيدِهِ أَوْ قَعْنَا بِهِ مَا يَسْتَحِقُّ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا كُنَّا عَجِلُنَاهُ قَبْلُنَا، وَشَفَقْنَا نَفْسَنَا. قَالَه مَجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ^(١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَامْتَلَأَتْ بِهِمْ دَارُ صَالِحٍ، فَاتَى التَّسْعَةَ دَارَ صَالِحٍ شَاهِرِينَ سَيُوقَهُمْ، فَقَتَلْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ رَضْخًا بِالْحِجَارَةِ، فَيَرُونَ الْحِجَارَةَ وَلَا يَرُونَ مَنْ يَرِمِيهَا^(٢). وَقَالَ قَتَادَةُ: خَرَجُوا مُسْرِعِينَ إِلَى صَالِحٍ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مَلَكٌ بِيَدِهِ صَخْرَةً فَقَتَلَهُمْ^(٣). وَقَالَ السُّدِّيُّ: نَزَلُوا عَلَى جَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَانْهَارَ بِهِمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَحْتَهُ. وَقِيلَ: اخْتَفَوْا فِي غَارٍ قَرِيبٍ مِنْ دَارِ صَالِحٍ، فَانْحَدَرَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ شَدَخَتْهُمْ جَمِيعًا، فَهَذَا مَا كَانَ مِنْ مَكْرِهِمْ^(٤). وَمَكْرُ اللَّهِ مَجَازَاتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَفُوتَهُمُ الْجَمْعِينَ﴾ أَي: بِالصَّيْحَةِ الَّتِي أَهْلَكْتَهُمْ^(٥). وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَلَاكَ الْكَلْبِ كَانَ بِصَيْحَةِ جَبْرِيلَ^(٦). وَالْأَظْهَرُ أَنَّ التَّسْعَةَ هَلَكُوا بِعَذَابٍ مُفْرَدٍ، ثُمَّ هَلَكَ الْبَاقُونَ بِالصَّيْحَةِ وَالْدَمْدَمَةِ. وَكَانَ الْأَعْمَشُ وَالْحَسَنُ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ يَقْرَءُونَ: «أَنَا» بِالْفَتْحِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ^(٧): فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَى «عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ» لِأَنَّ «أَنَا دَمَرْنَاهُمْ» خَيْرٌ كَانَ. وَيَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْإِتْبَاعِ لِلْعَاقِبَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ

(١) المحرر الوجيز ٢٦٤/٤ من غير نسبة.

(٢) تفسير البغوي ٤٢٤/٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٨٣/٢، والطبري ٩٤/١٨ بنحوه.

(٤) المحرر الوجيز ٢٦٤/٤.

(٥) تفسير البغوي ٤٢٤/٣.

(٦) الوسيط ٣٨١/٣.

(٧) في إيضاح الوقف والابتداء ٨١٨/٢ - ٨١٩، وما قبله منه دون نسبة القراءة إلى الحسن. وقد نُسبت إليه وإلى البقية دون نسبتها إلى الأعمش في إعراب القرآن ٢١٥/٣، والمحرر الوجيز ٢٦٤/٤. وقراءة عاصم وحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ فِي السَّبْعَةِ ص ٤٨٤، وَالتَّيْسِيرُ ص ١٦٨.

تجعلها في موضع نصبٍ من قول الفراء، وخفضٍ من قول الكسائي على معنى: بأننا دَمَرْنَاهم. ويجوز أن تجعلها في موضع نصبٍ على الإتيان لموضع «كَيْفَ» فمن هذه المذاهب لا يحسنُ الوقفُ على «مَكْرِهِمْ». وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «إِنَّا دَمَرْنَاهم» بكسر الألف على الاستثناف^(١)، فعلى هذا المذهب يحسنُ الوقفُ على «مَكْرِهِمْ».

قال النحَّاس^(٢): ويجوز أن تنصبَ «عَاقِبَةُ» على خبر «كان» ويكون «إِنَّا» في موضع رفعٍ على أنها اسمُ «كان». ويجوز أن تكون في موضع رفعٍ على إضمارٍ مبتدئٍ تبيناً للعاقبة، والتقدير: هي إِنَّا دَمَرْنَاهم؛ قال أبو حاتم: وفي حرف أبي: «أَنَّ دَمَرْنَاهم» تصديقاً لفتحها^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ قراءةُ العامَّةِ بالنَّصبِ على الحال عند الفراء والنحَّاس^(٤)، أي: خاليةٌ عن أهلها خراباً ليس بها ساكن^(٥). وقال الكسائي وأبو عبيدة: «خَاوِيَةٌ» نصبٌ على القطع، مجازة: فتلك بيوتهم الخاوية، فلما قُطِعَ منها الألف واللام نُصِبَ على الحال، كقوله: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢].

وقرأ عيسى بن عمر ونصر بن عاصم والجحدري: بالرفع^(٦) على أنها خبرٌ عن «تِلْكَ» و«بُيُوتُهُمْ» بدلٌ من «تِلْكَ»، ويجوز أن تكون «بُيُوتُهُمْ» عطفٌ بيانٍ و«خَاوِيَةٌ» خبراً عن «تِلْكَ»، ويجوز أن يكون رفعُ «خَاوِيَةٌ» على أنها خبرٌ ابتداءً محذوف، أي: هي خاوية، أو بدلٌ من «بُيُوتُهُمْ»؛ لأنَّ النَّكِيرَةَ تُبدَلُ من المعرفة^(٧). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

(١) السبعة ص ٤٨٤، والتيسير ص ١٦٨.

(٢) في إعراب القرآن ٢١٦/٣.

(٣) قراءة أبي في المحرر الوجيز ٢٦٤/٤، وهي قراءة شاذة.

(٤) في إعراب القرآن ٢١٦/٣.

(٥) تفسير أبي الليث ٥٠٠/٢ بنحوه.

(٦) الكشاف ١٥٣/٣ عن عيسى بن عمر، وهي قراءة شاذة.

(٧) إعراب القرآن ٢١٦/٣، والبيان ٢٢٥/٢.

لَأَيَّةَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِصَالِحٍ ﴿٥٠﴾ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ اللّٰه ويخافون عذابه. قيل: آمن بصالح قَدْرُ أربعة آلاف رجل^(١)، والباقون خرج بأبدانهم - في قول مقاتلٍ وغيره - خُرَاجٌ مثلُ الحِمِّصِ، وكان في اليوم الأولِ أحمر، ثم صار من الغدِ أصفر، ثم صار في الثالثِ أسود، وكان عَقْرُ الناقَةِ يومَ الأربعاء، وهلاكهم يومَ الأحد^(٢). قال مقاتل: فقعت تلك الخراجات، وصاح جبريلُ بهم خلال ذلك صيحةً فخدموا، وكان ذلك ضحوةً. وخرج صالحٌ بمن آمن معه إلى حَضْرَمَوْتِ، فلَمَّا دخلها مات صالحٌ؛ فَسُمِّيَتْ حَضْرَمَوْتُ^(٣). قال الضحَّاك: ثم بنى الأربعةُ الآلافُ مدينةً يقال لها: حاضورا، على ما تقدّم بيانه في قصة أصحاب الرس.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٢﴾ أَيُّكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٣﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٥﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أي: وأرسلنا لوطاً، أو: اذكُر لوطاً^(٤). ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ وهم أهل سدوم. وقال لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ الفِعْلَةُ القبيحةُ الشنيعة^(٥). ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أنها فاحشة، وذلك أعظمُ لذنوبكم. وقيل: يأتي بعضكم بعضاً وأنتم تنظرون إليه^(٦). وكانوا لا يستترون عُتْرًا منهم وتمرداً^(٧)

(١) مجمع البيان ٢٠/٢٣٥ .

(٢) عرائس المجالس ص ٧٢ بنحوه .

(٣) من قوله: وخرج صالح... إلى هذا الموضع من مجمع البيان ١٩/٢٣٥ .

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥/١٤٢ ، وإعراب القرآن ٣/٢١٦ .

(٥) تفسير البغوي ٣/٤٢٤ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥/١٤٢ .

(٧) تفسير البغوي ٣/٤٢٤ .

﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ أعادَ ذِكْرَهَا لفرط قُبْحِهَا وشنعَتِهَا. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾ إمَّا أمر التحريم أو العقوبة.

واختيار الخليل وسبويه تخفيف الهمزة الثانية من «أَيْنَكُمْ» فأما الخطُّ فالسبيل فيه أن يُكْتَبَ بِالْفَيْنِ عَلَى الوجوه كُلِّهَا؛ لأنها همزة مُبتدأة دخلت عليها ألف الاستفهام^(١).

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهَرُونَ﴾ أي: عن أدبار الرجال. يقولون ذلك استهزاء منهم. قاله مجاهد. وقال قتادة: عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء^(٢).

﴿فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِّنَ الْغَیْبِ﴾ وقرأ عاصم^(٣): «قَدَرْنَا» مخففاً، والمعنى واحد^(٤). يقال: قد قَدَرْتُ الشيءَ قَدْرًا وَقَدْرًا وَقَدَّرْتُهُ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: من أنذِرَ فلم يقبل الإنذار. وقد مضى بيان هذا في «الأعراف»^(٥) و«هود»^(٦).

قوله تعالى: ﴿قُلِ لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥١﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتٍ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُدْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٥٢﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ قال الفراء: قال أهل

(١) إعراب القرآن ٢١٦/٣.

(٢) معاني القرآن للنحاس ١٤٣/٥.

(٣) في رواية أبي بكر عنه كما في السبعة ص ٤٨٤، والتيسير ص ١٣٦.

(٤) زاد المسير ١٨٣/٦.

(٥) ٢٧٩/٩ - ٢٨٠.

(٦) ١٨٥/١١ - ١٩٠.

المعاني: قيل للوط: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاكهم. وخالف جماعة من العلماء الفراء في هذا وقالوا: هو مخاطبةً لنبينا محمد ﷺ، أي: قُل: الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية. قال النحاس: وهذا أولى؛ لأنَّ القرآن مُنزَّل على النبي ﷺ، وكل ما فيه فهو مخاطبٌ به عليه الصلاة والسلام إلا ما لم يصحَّ معناه إلا لغيره^(١). وقيل: المعنى: أي: ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ يعني أمته عليه السلام؛ قال الكلبي: اصطفاهم الله بمعرفته وطاعته^(٢). وقال ابن عباس وسفيان: هم أصحاب محمد ﷺ^(٣). وقيل: أمر رسول الله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته، وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده. وفيه تعليمٌ حسن، وتوقيفٌ على أدبٍ جميل، وبعثٌ على التيمُّن بالذكرين والتبرُّك بهما، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يُلقى إلى السامعين، وإصغائهم إليه، وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغها المستمع. ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظُ كابراً عن كابرٍ هذا الأدب، فحمدوا الله وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كلِّ علمٍ مُفاد، وقبل كلِّ عِظَةٍ، وفي مُفتتحِ كلِّ خطبة، وتبعهم المترسلون فأجزوا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني، وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن^(٤).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ اختار، أي: لرسالته^(٥)، وهم الأنبياء عليهم السلام؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾^(٦) [الصافات: ١٨١].

(١) إعراب القرآن ٣/٢١٧. وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/٢٩٧.

(٢) الوسيط ٣/٣٨٢.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/١٤٣ عن سفيان والسدي. وتفسير البغوي ٣/٤٢٥ عن ابن عباس. وزاد المسير ١٨٥/٦ عن ابن عباس والسدي.

(٤) الكشاف ٣/١٥٤.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/٥٠١.

(٦) تفسير البغوي ٣/٤٢٥.

﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾ وأجاز أبو حاتم «اللَّهُ خَيْرٌ» بهمزتين. النحّاس: ولا نعلم أحداً تابعه على ذلك؛ لأنّ هذه المدّة إنّما جيء بها فرقاً بين الاستفهام والخبر، وهذه ألف التوقيف، و«خَيْرٌ» هاهنا ليس بمعنى: أفضل منك، وإنّما هو مثل قول الشاعر:

أتهجوه ولست له بكفءٍ فشرُّكمما لخيركمما الفداء^(١)

فالمعنى: فالذي فيه الشرُّ منكما للذي فيه الخير الفداء. ولا يجوز أن يكون بمعنى من؛ لأنك إذا قلت: فلان شرٌّ من فلان، ففي كل واحدٍ منهما شرٌّ^(٢). وقيل: المعنى: الخير في هذا أم في هذا الذي تشركونه في العبادة؟! وحكى سيبويه: السعادة أحبُّ إليك أم الشقاء؛ وهو يعلم أنّ السعادة أحبُّ إليه. وقيل: هو على باب من التفضيل، والمعنى: الله خيرٌ أم ما تشركون، أي: أثوابه خيرٌ أم عقاب ما تشركون^(٣). وقيل: قال لهم ذلك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنّ في عبادة الأصنام خيراً، فخطبهم الله عزّ وجلّ على اعتقادهم^(٤). وقيل: اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر^(٥). وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب: «يُشْرِكُونَ» بياء على الخبر. الباقون بالتاء على الخطاب^(٦)، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. فكان النبي ﷺ إذ قرأ هذه الآية يقول: «بل الله خيرٌ وأبقى وأجلُّ وأكرمٌ»^(٧).

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال أبو حاتم: تقديره: ألهمتكم خيرٌ أم

(١) قاله حسان بن ثابت، وقد سلف ٣٤٩/١.

(٢) إعراب القرآن ٣/٢١٧.

(٣) معاني القرآن للنحّاس ٥/١٤٣ - ١٤٤ بنحوه.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/٥٣٨ بنحوه.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/٥٠١.

(٦) السبعة ص ٣٢٤، والتيسير ص ١٦٨، والنشر ٢/٣٣٨.

(٧) تفسير أبي الليث ٢/٥٠١، والكشاف ٣/١٥٤. وأخرجه البيهقي في الشعب (٢٠٨٢) من طريق جابر ابن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر - وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عن أبيه علي ابن الحسين مرفوعاً. إسناده منقطع. وفيه جابر الجعفي، وهو ضعيف عند الأكثرين، وقد اتهمه بعضهم بالكذب. ميزان الاعتدال ١/٣٧٩ - ٣٨٠.

من خلق السماوات والأرض. وقد تقدّم. ومعناه: قَدَرَ على خَلْقِهِنَّ. وقيل: المعنى: أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خيرٌ أم عبادة مَنْ خلقَ السماوات والأرض؟^(١) فهو مردودٌ على ما قبله من المعنى، وفيه معنى التوبيخ لهم، والتنبيه على قدرة الله عزَّ وجلَّ وعجزِ آلهتهم. ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حِدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ الحديقة: البستان الذي عليه حائط. والبهجة: المنظر الحسن^(٢). قال القراء^(٣): الحديقة: البستان المحظر عليه حائط، وإن لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة. وقال قتادة وعكرمة: الحدائق: النخل ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ والبهجة: الزينة والحسن؛ يبهج به من رآه^(٤). ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ «ما» للنفي^(٥)، ومعناه الحظر والمنع من فعلٍ هذا، أي: ما كان للبشر، ولا يتهيأ لهم، ولا يقع تحت قدرتهم أن ينبتوا شجرها؛ إذ هم عَجَزَةٌ عن مثلها؛ لأنَّ ذلك إخراج الشيء من العدم إلى الوجود^(٦). قلت: وقد يُستدلُّ من هذا على منع تصوير شيء، سواء كان له روح أم لم يكن. وهو قول مجاهد^(٧). ويعضده قوله ﷻ: «قال الله عزَّ وجلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي، فليخلقوا ذرَّةً، أو ليخلقوا حبةً، أو ليخلقوا شعيرةً» رواه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول: «قال الله عزَّ وجلَّ...» فذكره^(٨). فعمَّ بالذمِّ والتهديد والتوبيخ كلَّ مَنْ تعاطى تصوير شيءٍ ممَّا خلقه الله وضاهاه في التشبيه في خلقه فيما انفرد به سبحانه من الخلق والاختراع، وهذا

(١) تفسير الطبري ١٨/١٠٠.

(٢) تفسير البغوي ٣/٤٢٥.

(٣) في معاني القرآن ٢/٢٩٧.

(٤) إعراب القرآن ٣/٢١٧، وتفسير البغوي ٣/٤٢٥.

(٥) مجمع البيان ٢٠/٢٣٩.

(٦) المحرر الوجيز ٤/٢٦٤.

(٧) المفهم ٥/٤٣٢.

(٨) صحيح مسلم (٢١١١). وأخرجه أحمد (٧١٦٦)، والبخاري (٧٥٥٩).

واضح. وذهب الجمهور إلى أن تصوير ما ليس فيه روح يجوز هو والاكتساب به^(١). وقد قال ابن عباس للذي سأله أن يصنع الصور: إن كنت لأبداً فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له. خرّجه مسلم أيضاً^(٢). والمنع أولى - والله أعلم - لما ذكرنا. وسيأتي لهذا مزيد بيان في «سبأ»^(٣) إن شاء الله تعالى.

ثم قال على جهة التوبيخ: ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: هل معبود مع الله يُعِينُهُ على ذلك؟^(٤) ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ﴾ بالله غيره^(٥). وقيل: «يَعِدُلُونَ» عن الحق والقصد، أي: يكفرون^(٦). وقيل: «إِلَه» مرفوع بـ «مع» تقديره: أمع الله - ويلكم - إله؟ والوقف على «مَعَ اللَّهِ» حسن^(٧).

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: مُسْتَقَرًّا. ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ أي: وسطها، مثل: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣]. ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ يعني جبالاً ثوابت تُمسكها وتمنعها من الحركة. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ مانعاً من قدرته؛ لئلا يختلط الأجاج بالعذب^(٨). وقال ابن عباس: سلطاناً من قدرته، فلا هذا يُغَيِّرُ ذَاكَ ولا ذاك يُغَيِّرُ هذا. والحجز: المنع. ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غيره فلم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: كأنهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الواحدانية.

(١) المفهم ٤٣٢/٥ .

(٢) في صحيحه (٢١١٠).

(٣) عند تفسير الآية (١٣).

(٤) الوسيط ٣/٣٨٢ ، وتفسير البغوي ٣/٤٢٥ .

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٦٤ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥/١٤٣ .

(٧) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٨١٩ .

(٨) الوسيط ٣/٣٨٢ ، وتفسير البغوي ٣/٤٢٥ ، وزاد المسير ٦/١٨٦ .

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْمَعُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى : قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ قال ابن عباس : هو ذو الضرورة المجهود. وقال السُّدِّي : الذي لا حول له ولا قوَّة. وقال ذو النون : هو الذي قطع العلائق عمَّا دون الله. وقال أبو جعفر وأبو عثمان النيسابوري : هو المفلس. وقال سهل بن عبد الله : هو الذي إذا رفع يديه إلى الله داعياً لم يكن له وسيلة من طاعةٍ قدَّمها. وجاء رجلٌ إلى مالك بن دينار فقال : أنا أسألك بالله أن تدعوا لي فأنا مضطر. قال : إذا فأسأله فإنه يجيبُ المضطرَّ إذا دعاه؛ قال الشاعر :

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ عليّ فما ينفك أن يتفرجاً
وربَّ أخٍ سُدَّتْ عليه وجوههُ أصاب لها لما دعا الله مخرجاً

الثانية : وفي «مسند أبي داود الطيالسي» عن أبي بكره قال : قال رسول الله ﷺ في دعاء المضطر : «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت»^(١).

الثالثة : ضمَّن الله تعالى إجابة المضطرِّ إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه؛ والسبب في ذلك أنَّ الضرورة إليه باللَّجاء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عمَّا سواه؛ وللإخلاص عنده سبحانه موقعٌ وذيمةٌ، ووجد من مؤمنٍ أو كافر، طائعٍ أو فاجر، كما قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ

(١) مسند الطيالسي (٨٦٩). وأخرجه أحمد (٢٠٤٣٠).

عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ
 أُجِيتْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٢﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا بَجَدْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
 يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم، مع علمه أنهم
 يعودون إلى شركهم وكفرهم. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
 الَّذِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فيجيب المضرط لموضع اضطراره وإخلاصه. وفي الحديث:
 «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة
 الوالد على ولده» ذكره صاحب «الشهاب»، وهو حديث صحيح^(١). وفي «صحيح
 مسلم» عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ لما وجهه إلى أرض اليمن: «وأتق دعوة المظلوم
 فليس بينها وبين الله حجاب»^(٢) وفي كتاب «الشهاب»: «أتقوا دعوة المظلوم فإنها
 تُحْمَلُ على الغمام فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين»
 وهو صحيح أيضاً^(٣). وخرج الآجري من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «فإني لا أردّها
 ولو كانت من فم كافر»^(٤) فيجيب المظلوم لموضع إخلاصه بضرورته بمقتضى كرمه،
 وإجابة لإخلاصه وإن كان كافراً، وكذلك إن كان فاجراً في دينه؛ ففجور الفاجر وكفر
 الكافر لا يعود منه نقص ولا وهن على مملكة سيده، فلا يمنعه ما قضى للمضرط من
 إجابته. وفسر إجابة دعوة المظلوم بالنصرة على ظالمه بما شاء سبحانه من قهر له، أو
 اقتصاص منه، أو تسليط ظالم آخر عليه يقهره كما قال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ

(١) مسند الشهاب (٣١٦) من حديث أبي هريرة ؓ. وأخرجه أحمد (٧٥١٠).

(٢) صحيح مسلم (١٩) من حديث ابن عباس ؓ. وأخرجه أحمد (٢٠٧١)، والبخاري (١٤٩٦).

(٣) مسند الشهاب (٧٣٣) من حديث خزيمه بن ثابت ؓ. وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة ؓ أخرجه
 أحمد (٨٠٤٣).

(٤) لم نقف عليه عند الآجري في الشريعة، وأخرجه ابن حبان (٣٦١)، وفي إسناده إبراهيم بن هشام بن
 يحيى الغساني، كذبه أبو حاتم كما في الجرح والتعديل ١٤٢/٢، وكذبه أبو زرعة كما في الميزان
 ٧٣/١.

وله شاهد ضعيف لا يفرح به عن أنس بن مالك ؓ، وهو في مسند أحمد (١٢٥٤٩).

الظَّالِمِينَ بَعْضًا» [الأنعام: ١٢٩] وأكدَّ سرعةَ إجابتها بقوله: «تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ» ومعناه والله أعلم: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوَكِّلُ مَلَائِكَتَهُ بِتَلْقِي دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَبِحَمْلِهَا عَلَى الْغَمَامِ، فَيَعْرِجُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ - وَالسَّمَاءُ قَبْلَةُ الدَّعَاءِ - لِيَرَاهَا الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ، فَيُظْهِرُ مِنْهُ مَعَاوَنَةَ الْمَظْلُومِ، وَشَفَاعَةَ مَنْهُمْ لَهُ فِي إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، رَحْمَةً لَهُ. وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ الظُّلْمِ جَمَلَةٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ سَخِطِ اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ؛ حَيْثُ قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» وَغَيْرِهِ: «يَا عَبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» الْحَدِيثُ^(١). فَالْمَظْلُومُ مُضْطَرٌّ، وَيَقْرَبُ مِنْهُ الْمَسَافِرُ؛ لِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ، مُنْفَرِدٌ عَنِ الصَّدِيقِ وَالْحَمِيمِ، لَا يَسْكُنُ قَلْبُهُ إِلَى مُسْعِدٍ وَلَا مُعِينٍ لِعُرْبَتِهِ، فَتَصْدُقُ ضَرُورَتُهُ إِلَى الْمَوْلَى، فَيُخْلِصُ إِلَيْهِ فِي اللَّجَاءِ، وَهُوَ الْمَجِيبُ لِلْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ، وَكَذَلِكَ دَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، لَا تَصْدُرُ مِنْهُ مَعَ مَا يَعْلَمُ مِنْ حُنْتِهِ عَلَيْهِ وَشَفَقَتِهِ، إِلَّا عِنْدَ تَكَامُلِ عَجْزِهِ عَنْهُ، وَصَدَقَ ضَرُورَتُهُ، وَإِيَابِهِ عَنِ بَرِّ وَلَدِهِ، مَعَ وَجُودِ أَذْيَتِهِ، فَيُسْرِعُ الْحَقُّ إِلَى إِجَابَتِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَكْتِشِفُ السُّوءَ﴾ أَي: الضَّرَّ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الْجَوْرُ^(٢). ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أَي: سُكَّانَهَا يُهْلِكُ قَوْمًا وَيُنشِئُ آخَرِينَ^(٣). وَفِي كِتَابِ النَّقَاشِ: أَي: وَيَجْعَلُ أَوْلَادَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْكُمْ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: خُلَفَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ يَنْزِلُونَ أَرْضَهُمْ، وَطَاعَةَ اللَّهِ بَعْدَ كُفْرِهِمْ^(٤). ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ عَلَى جِهَةِ التَّوْبِيخِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَمَعَ اللَّهُ - وَيَلْكُمْ - إِلَهٌ؟ وَ«إِلَهٌ» مَرْفُوعٌ بِ«مَعَ»، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا بِإِضْمَارِ إِلَهٍ مَعَ اللَّهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَتَعْبُدُوهُ. وَالْوَقْفُ عَلَى «مَعَ اللَّهِ» حَسَنٌ^(٥). ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَهَشَامُ

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ر.ه. وأخرجه أحمد (٢١٣٦٧).

(٢) النكت والعيون ٤/٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) تفسير البغوي ٣/٤٢٥.

(٤) النكت والعيون ٤/٢٢٣.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٨١٩.

ويعقوب: «يَذْكُرُونَ» بالياء على الخبر، كقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ و﴿تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فأخبر فيما قبلها وبعدها، واختاره أبو حاتم. الباقون بالتاء خطاباً لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يرشدكم الطريق ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ إذا سافرتم إلى البلاد التي تتوجهون إليها بالليل والنهار. وقيل: وجعل مفاوز البر التي لا أعلام لها، ولجج البحار كأنها ظلمات؛ لأنه ليس لها علم يهتدى به. ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: قدام المطر باتفاق أهل التأويل^(٢). ﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ يفعل ذلك ويُعينه عليه ﴿تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من دونه.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ كانوا يُقَرُّون أنه الخالق الرازق، فالزمهم الإعادة، أي: إذا قدير على الابتداء فمن ضرورته القدرة على الإعادة، وهو أهون عليه. ﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ يخلق ويرزق ويبدئ ويعيد. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حُجَّتكم أن لي شريكاً، أو: حُجَّتكم في أنه صنع أحد شيئاً من هذه الأشياء غير الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٥﴾ بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مَنِهَا بَلْ هُمْ مَنِهَا عَمُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. وعن بعضهم: أخفى غيبه على الخلق، ولم يطلع عليه أحد، لئلا يأمن أحد من عبيده مكره. وقيل: نزلت في المشركين حين سألوا النبي ﷺ عن قيام الساعة^(٤). و«مَنْ» في موضع رفع،

(١) السبعة ص ٤٨٤، والتيسير ص ١٦٨، والنشر ٢/٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/٥٠٢، وتفسير البغوي ٣/٤٢٥ - ٤٢٦.

(٣) الوسيط ٣/٣٨٣.

(٤) الكشاف ٣/١٥٦.

والمعنى: قُلْ: لا يَعْلَمُ أَحَدٌ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ، فإنه بَدَلٌ من «مَنْ». قاله الزَّجَّاجُ^(١).
 الْفَرَاءُ^(٢): وإنما رَفَعَ ما بعد «إلا» لَأَنَّ ما قبلها جحدٌ، كقوله: ما ذهب أحدٌ إِلَّا أبوك.
 والمعنى واحد. قال الزَّجَّاجُ^(٣): وَمَنْ نَصَبَ نَصَبَ عَلَى الاستثناء؛ يعني: في الكلام.
 قال النَّحَّاسُ^(٤): وسمعته يحتجُّ بهذه الآية على مَنْ صدَّق منجِّماً، وقال: أخافُ أن
 يكفر بهذه الآية.

قلت: وقد مضى هذا في «الأنعام»^(٥) مستوفى. وقالت عائشة: مَنْ زعمَ أنَّ
 محمداً يعلم ما في غدٍ فقد أعظمَ على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ خَرَّجَهُ مسلم^(٦). ورُوي أنه دخل على الحجاجِ منجِّمٌ
 فاعتقله الحجاج، ثم أخذ حَصِيَّاتٍ فَعَدَّهِنَّ، ثم قال: كم في يدي من حصاة؟ فحسبَ
 المنجِّمُ ثم قال: كذا؛ فأصاب، ثم اعتقله فأخذ حَصِيَّاتٍ لم يَعُدَّهِنَّ فقال: كم في
 يدي؟ فحسبَ فأخطأ، ثم حسبَ فأخطأ، ثم قال: أيها الأمير، أظنك لا تعرفُ
 عددها؟ قال: لا. قال: فإني لا أُصيب. قال: فما الفرق؟ قال: إنَّ ذلك أحصيته
 فخرج عن حدِّ الغيب، وهذا لم تُحصِه فهو غيبٌ، و﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وقد مضى هذا في «آل عمران»^(٧) والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ هذه قراءة أكثر الناس منهم عاصم
 وشيبة ونافع ويحيى بن وثَّاب والأعمش وحمزة والكسائي^(٨). وقرأ أبو جعفر وابن

(١) فيما نقل عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/٢١٨، وهو في معاني القرآن للزجاج ٤/١٢٧ بنحوه.

(٢) في معاني القرآن له ٢/٢٩٨ - ٢٩٩.

(٣) في معاني القرآن ٤/١٢٧.

(٤) في إعراب القرآن ١٣/١٨.

(٥) ٤٠٠/٨ - ٤٠٧.

(٦) في صحيحه (١٧٧)، وقد سلف ٨/٤٠١.

(٧) ٥/٢٧.

(٨) قراءة عاصم ونافع وحمزة والكسائي في السبعة ص ٤٨٥، والتيسير ص ١٦٨.

كثير وأبو عمرو وحميد: «بَلْ أَدْرَكَ» من الإدراك^(١). وقرأ عطاء بن يسار وأخوه سليمان بن يسار والأعمش: «بَلْ أَدْرَكَ» غير مهموزٍ مشدداً^(٢). وقرأ ابن مُحِيصن: «بَلْ أَدْرَكَ»^(٣) على الاستفهام. وقرأ ابن عباس: «بَلَى» بإثبات الياء «أَدَارَكَ» بهمزة قطع والذال مشددة وألف بعدها؛ قال النحّاس: وإسناده إسنادٌ صحيح، هو من حديث شعبة يرفعه إلى ابن عباس. وزعم هارون القارئ أن قراءة أبيي «بَلْ تَدَارَكَ عِلْمُهُمْ»^(٤). وحكى الثعلبي أنها في حرف أبيي: «أم تدارك» والعرب تضع (بَلْ) موضع (أم) و(أم) موضع (بَل) إذا كان في أول الكلام استفهاماً، كقول الشاعر:

فوالله لا أدري أسلمى تغوّلت^(٥) أم القول أم كلّ إليّ حبيب
أي: بل كل^(٦). قال النحّاس^(٧): القراءة الأولى والأخيرة معانها واحد؛ لأنّ أصل «أَدَارَكَ» تدارك؛ أدغمت الذال في التاء، وجيء بألف الوصل؛ وفي معناه قولان: أحدهما أن المعنى: بل تكامل علمهم في الآخرة؛ لأنهم رأوا كل ما وعدوا به معانيته، فتكامل علمهم به. والقول الآخر: أن المعنى: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة، فقالوا: تكون، وقالوا: لا تكون. القراءة الثانية فيها أيضاً قولان: أحدهما

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص ٤٨٥، والتيسير ص ١٦٨. وقراءة أبي جعفر - وهو من العشرة - في النشر ٢/٣٣٩. قلنا: وما سوى هذه القراءة والتي قبلها فهو من القراءات الشاذة.

(٢) بل بغير تشديد هنا؛ لأن قراءة التشديد سيذكرها المصنف قريباً، وهي - بالتخفيف والتشديد - في المحتسب ٢/١٤٢ عن سليمان بن يسار وعطاء بن السائب.

(٣) وقع في (م): «أَدْرَكَ»، والمثبت من المصادر. وهي في الشاذة ص ١١٠، والمحتسب ٢/١٤٢ وزاد في نسبتها إلى أبي رجاء والحسن وقتادة، والمحزر الوجيز ٤/٢٦٨ وزاد في نسبتها إلى ابن عباس والحسن.

(٤) وهي في المحتسب ٢/١٤٢، والشاذة ص ١١٠.

(٥) في (م): تقولت، والتصويب من معاني القرآن للفرّاء ١/٧٢ و٢/٢٩٩، وتفسير الطبري ٢/٤١٣ و١٨/١١١. تقولت المرأة: تلونت. اللسان (غول).

(٦) وحكاها الفرّاء في معاني القرآن ٢/٢٩٩. وقراءة أبيي في الشاذة ص ١١٠، والمحزر الوجيز ٤/٢٦٨.

(٧) من قوله: وحكى الثعلبي: ... إلى هذا الموضع من (م).

أنَّ معناه: كمل في الآخرة، وهو مثل الأوَّل؛ قال مجاهد: معناه: يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم؛ لأنهم كانوا في الدنيا مكذِّبين. والقول الآخر أنه على معنى الإنكار، وهو مذهب أبي إسحاق؛ واستدلَّ على صحة هذا القول بأنَّ بعده ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾^(١) أي: لم يُدرك علمهم علم الآخرة. وقيل: بل ضلَّ وغاب علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم. والقراءة الثالثة: «بَلِ ادْرَكْ» فهي بمعنى «بَلِ ادَّارَكْ» وقد يجيء افتعل وتفاعل بمعنى^(٢)؛ ولذلك صُحِّح ازدوجوا حين كان بمعنى تزاوجوا. القراءة الرابعة: ليس فيها إلَّا قولٌ واحدٌ يكون فيه معنى الإنكار، كما تقول: أ أنا قاتلتُك؟! فيكون المعنى: لم يدرك، وعليه ترجع قراءة ابن عباس؛ قال ابن عباس: «بَلَى ادْرَكْ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ» أي: لم يُدرك. قال الفراء: وهو قولٌ حسنٌ، كأنه وجَّهه إلى الاستهزاء بالمكذِّبين بالبعث، كقولك لرجل تُكذِّبه: بَلَى لعمري قد أدركت السلفَ فأنت تروي ما لا أروي! وأنت تُكذِّبه^(٣). وقراءة سابعة: «بَلِ ادْرَكْ» بفتح اللام؛ عدل إلى الفتحة لِخَفَّتْهَا. وقد حُكي نحو ذلك عن قطرب في ﴿قِرْ أَيْلَلٌ﴾ فإنه عدل إلى الفتحة. وكذلك (بَع الثوب) ونحوه^(٤). وذكر الزمخشري في الكتاب^(٥): «بَلَى ادْرَكْ» بهمزيين «بَلَى ادْرَكْ» بألف بينهما «بَلَى ادْرَكْ» «أَمْ تَدَارَكْ» «أَمْ ادْرَكْ» فهذه ثنتا عشرة قراءة، ثم أخذ يُعلِّل وجوه القراءات وقال: فإن قلت: فما وجهُ قراءة «بَلَى ادْرَكْ» على الاستفهام؟ قلت: هو استفهامٌ على وجه الإنكار لإدراك علمهم، وكذلك من قرأ: «أَمْ ادْرَكْ» و«أَمْ تَدَارَكْ» لأنها أم التي

(١) من بداية تفسير الآية إلى هذا الموضع - سوى ما حكاه الثعلبي وقول مجاهد - من إعراب القرآن ٢١٨/٣ - ٢١٩.

(٢) المحرر الوجيز ٢٦٨/٤. وذكرت هذه القراءة في السبعة ص ٤٨٥ عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم. وهي في الشاذة ص ١١٠ عن الحسن والأعرج.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٩.

(٤) المحتسب ٢/١٤٣.

(٥) الكشاف ٣/١٥٦ - ١٥٧.

بمعنى بل والهمزة، وأما من قرأ: «بَلَى أَدْرَكَ» على الاستفهام فمعناه: بلى يشعرون متى يبعثون، ثم أنكر عِلْمَهُم بكونها، وإذا أنكر عِلْمَهُم بكونها لم يتحصّل لهم شعورٌ وقت كونها؛ لأنّ العلم بوقت الكائن تابعٌ للعلم بكون الكائن. «في الآخرة» في شأن الآخرة ومعناها.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِتْنًا﴾ أي: في الدنيا. ﴿بَلْ هُمْ مِتْنًا عَمُونَ﴾ أي: بقلوبهم، واحدهم عمو. وقيل: عم^(١)، وأصله عميون؛ حُذِفَتِ الياءُ لالتقاء الساكنين، ولم يَجْزُ تحريكها لِثَقَلِ الحِركَةِ فيها^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُؤُنَا آيِنًا لَمُخْرَجُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي مكة^(٣). ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُؤُنَا آيِنًا لَمُخْرَجُونَ﴾ هكذا يقرأ نافع هنا وفي سورة: «العنكبوت»^(٤). وقرأ أبو عمرو باستفهامين، إلا أنه خَفَّفَ الهمزة. وقرأ عاصم وحمزة أيضاً باستفهامين إلا أنهما حَقَّقَا الهمزتين، وكلُّ ما ذكرناه في السورتين جميعاً واحد. وقرأ الكسائي وابن عامر ورؤيس ويعقوب: «أئِذَا» بهمزتين «إئِنَّا» بنونين على الخبر في هذه السورة، وفي سورة «العنكبوت» باستفهامين^(٥)؛ قال أبو جعفر النحاس^(٦): «القراءةُ إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُؤُنَا آيِنًا لَمُخْرَجُونَ» موافقةٌ للخَطِّ حسنةٌ، وقد عارض فيها أبو حاتم فقال: وهذا معنى كلامه: «إِذَا» ليس باستفهام و«آيِنًا» استفهام، وفيه «إِنَّ» فكيف يجوز أن يعمل ما في

(١) الوسيط ٣/٣٨٣، وتفسير البغوي ٣/٤٢٦.

(٢) إعراب القرآن ٣/٢١٩.

(٣) تفسير البغوي ٣/٤٢٧.

(٤) الآية (٢٩).

(٥) السبعة ص ٤٨٥ و٤٩٩، والتيسير ص ١٦٩ و١٧٣، والنشر ١/٣٧٣.

(٦) في إعراب القرآن ٣/٢١٩ - ٢٢٠، وما قبله منه.

حيز الاستفهام فيما قبله؟! فإذا كان فيه استفهامٌ كان أبعد، وهذا إذا سُئِلَ عنه كان مُشكلاً لِمَا ذكره. وقال أبو جعفر: وسمعت محمد بن الوليد يقول: سألتنا أبا العباس عن آية من القرآن صعبةٌ مُشكلةٌ، وهي قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِكُمُ إِذَا مُرِفْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ لَكُمْ لِنِي خَلَقَ جَدِيدًا﴾ [سبأ: ٨] فقال: إن عمل في «إِذَا» «يَبْتَئِكُمْ» كان مُحالاً؛ لأنه لا يُبْتَئُهُمْ ذلك الوقت، وإن عمل فيه ما بعد «إِنَّ» كان المعنى صحيحاً وكان خطأً في العربية أن يعمل ما قبل «إِنَّ» فيما بعدها؛ وهذا سؤالٌ بيّن رأيتُ أن يُذكر في السورة التي هو فيها، فأما أبو عبيد فمال إلى قراءة نافع وردّ على مَنْ جمع بين استفهامين، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وبقوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وهذا الردُّ على أبي عمرو وعاصم وحمزة وطلحة والأعرج لا يلزمُ منه شيء، ولا يُشبهه ما جاء به من الآية شيئاً، والفرق بينهما أن الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد، ومعنى: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾: أفإن مَتَّ خلدوا. ونظير هذا: أزيدُ مُنطلقٌ، ولا يُقال: أزيدُ مُنطلقٌ؛ لأنها بمنزلة شيء واحدٍ وليس كذلك الآية؛ لأن الثاني جملةٌ قائمةٌ بنفسها فيصلح فيها الاستفهام، والأوّل كلامٌ يصلح فيه الاستفهام، فأما مَنْ حدّف الاستفهام من الثاني وأثبته في الأول فقرأ: «أئذا كُنَّا تُراباً وأبائُنَا إِنْتَنَا» فحدّفه من الثاني؛ لأنّ في الكلام دليلاً عليه بمعنى الإنكار.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ تقدّم في سورة «المؤمنون»^(١). وكانت الأنبياء يُقربون أمر البعث مبالغةً في التحذير، وكلُّ ما هو آتٍ فقريب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: «قل» لهؤلاء الكفار «سيروا» في بلاد

الشام والحجاز واليمن. ﴿فَانظُرُوا﴾ أي: بقلوبكم وبصائرکم ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المكذبين لرسلم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على كفار مكة إن لم يؤمنوا ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾ في حرج^(١) ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة^(٢)، وقد تقدم ذكرهم^(٣). وقرئ: «في ضيق» بالكسر، وقد مضى في آخر «النحل»^(٤). ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي: وقت يجيئنا العذاب بتكدينا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي سَتَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٨﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ أي: اقترب لكم ودنا منكم ﴿بَعْضُ الَّذِي سَتَعْمَلُونَ﴾ أي: من العذاب. قاله ابن عباس^(٥). وهو من رَدَفَه إذا تبعه وجاء في أثره، وتكون اللام أَدْخَلَتْ لِأَنَّ المعنى: اقترب لكم ودنا لكم. أو تكون متعلقة بالمصدر^(٦). وقيل: معناه: معكم. وقال ابن شجرة: تبعكم، ومنه رَدَفُ المرأة؛ لأنه تبع لها من خلفها، ومنه قول أبي ذؤيب:

عَادَ السَّوَادُ بِيَاضًا فِي مَفَارِقِهِ لَا مَرْحَبًا بِبِيَاضِ الشَّيْبِ إِذْ رَدَفَا^(٧)
قال الجوهري^(٨): وَأَرَدَفَهُ أَمْرٌ لَغَةٌ فِي رَدَفِهِ، مِثْلُ تَبَعَهُ وَأَتْبَعَهُ بِمَعْنَى؛ قَالَ خُزَيْمَةُ

(١) الكشف ١٥٨/٣ .

(٢) تفسير البغوي ٤٢٧/٣ .

(٣) ٢٦٢ - ٢٦١/١٢ .

(٤) ٤٦٤/١٢ .

(٥) النكت والعيون ٢٢٥/٤ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ١٤٧/٥ .

(٧) النكت والعيون ٢٢٥/٤ .

(٨) في الصحاح (ردف).

ابن مالك بن نهد:

إذا الجوزاء أردفت الثرياً ظننت بآل فاطمة الظنونا^(١)
يعني فاطمة بنت يدكر بن عترة أحد القارطين.

وقال الفراء^(٢): «رَدَفَ لَكُمْ»: دنا لكم؛ ولهذا قال: «لَكُمْ». وقيل: رَدَفَهُ وَرَدَفَ له بمعنى فتراد اللام للتوكيد. عن الفراء أيضاً^(٣). كما تقول: نَقَدْتُهُ وَنَقَدْتُ له، وَكَلْتُهُ وَوَزَنْتُهُ، وَكَلْتُ له وَوَزَنْتُ له، ونحو ذلك. ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب، فكان ذلك يوم بدر. وقيل: عذاب القبر^(٤). ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ في تأخير العقوبة وإدرار الرزق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضله ونعمه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: تخفي صدورهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يُظْهِرُونَ من الأمور. وقرأ ابن محيصن وحميد: «مَا تُكِنُّ» من كنت الشيء إذا سترته، هنا وفي «القصص»^(٥) تقديره: ما تُكِنُّ صدورهم عليه، وكأن الضمير الذي في الصدور كالجسم الساتر. ومن قرأ: «تُكِنُّ» فهو المعروف؛ يقال: أكننت الشيء إذا أخفيته في نفسك^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ قال الحسن: الغائبة: هنا: القيامة. وقيل: ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض. حكاه النقاش. وقال ابن شجرة: الغائبة هنا: ما أخفى الله تعالى عن خلقه وغيبه عنهم،

(١) البيت في الأمثال لأبي عبيد ص ٣٤٥، وجمهرة الأمثال ١/١٢٣.

(٢) في معاني القرآن له ٢/٢٩٩.

(٣) نقله عنه البغوي في تفسيره ٣/٤٢٧ بنحوه.

(٤) النكت والعيون ٤/٢٢٥.

(٥) عند الآية (٦٩).

(٦) المحتسب ٢/١٤٤ بنحوه، وقد نسب القراءة إلى ابن محيصن وابن السميع اليماني، وكذلك في الشاذة ص ١١٠، والمحزر الوجيز ٤/٢٦٩.

وهذا عام^(١). وإنما دخلت الهاء في «غائبة» إشارة إلى الجمع، أي: ما من خصلية غائبة عن الخلق إلا واللّه عالمٌ بها قد أثبتنا في أم الكتاب عنده، فكيف يخفى عليه ما يُسرُّ هؤلاء وما يُعلنونه. وقيل: أي: كلُّ شيءٍ هو مُثبَّت في أم الكتاب يُخرجه للأجل المؤجَّل له، فالذي يستعجلونه من العذاب له أجلٌ مضروبٌ لا يتأخَّر عنه ولا يتقدَّم عليه. والكتاب: اللوح المحفوظ، أثبت اللّه فيه ما أراد؛ ليعلمَ بذلك من يشاء من ملائكته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَتَىٰ بِهَدْيِ الْعَمِيِّ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وذلك أنهم اختلفوا في كثير من الأشياء حتى لعن بعضهم بعضاً، فنزلت. والمعنى: إن هذا القرآن يُبين لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به^(٢)، وذلك ما حرّفوه من التوراة والإنجيل، وما سقط من كتبهم من الأحكام. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني القرآن^(٣) ﴿لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّ المؤمنين لأنهم المتفعون به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ أي: يقضي بين بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه في الآخرة، فيجازي المُحقَّ والمُبطل^(٤). وقيل: يقضي بينهم في الدنيا فيظهِرُ ما حرّفوه. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنيع الغالب الذي لا يُردُّ أمره ﴿الْعَلِيمُ﴾ الذي لا يخفى عليه

(١) النكت والعيون ٤/ ٢٢٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٠.

(٣) الوسيط ٣/ ٣٨٤، وتفسير البغوي ٣/ ٤٢٧.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ١١٧.

شيء^(١).

قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فوَضِّ إِلَيْهِ أَمْرَكَ واعْتَمِدْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ نَاصِرُكَ^(٢).
 ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: الظاهر^(٣). وقيل: الْمُظْهَرُ لِمَنْ تَدَبَّرَ وَجْهَ الصَّوَابِ.
 ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ يعني الكفار؛ لِتَرْكِهِمُ التَّدْبِيرَ، فَهَمَّ كَالْمَوْتَى لَا حِسَّ لَهُمْ وَلَا
 عَقْلَ. وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن. ﴿وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يعني الكفار الذين هم
 بمنزلة الضُّمِّ عن قبول المواعظ، فإذا دُعُوا إِلَى الْخَيْرِ أَعْرَضُوا وَوَلَّوْا كَأَنَّهُمْ لَا
 يَسْمَعُونَ، نظيره: ﴿صُمُّ بِكُمْ عُمَى﴾ كما تقدَّم^(٤).

وقرأ ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن أبي إسحاق وعباس عن أبي عمرو:
 «وَلَا يَسْمَعُ» بفتح الياء والميم «الضُّمُّ» رفعا على الفاعل^(٥). الباكون: «تُسْمِعُ» مضارعُ
 أَسْمَعْتَ «الضُّمُّ» نصباً.

مسألة: وقد احتجَّت عائشة رضي الله عنها في إنكارها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسْمَعَ مَوْتَى
 بدرِ بهذه الآية، فنظرت في الأمر بقياسِ عَقْلِيٍّ ووقفت مع هذه الآية. وقد صحَّ عن
 النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «ما أنتم بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ»^(٦) قال ابن عطية: فيُشْبِهُ أَنْ قِصَّةَ بَدْرِ خَرَقُ
 عَادَةَ لِمَحْمَدٍ ﷺ فِي أَنْ رَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ إِدْرَاكاً سَمِعُوا بِهِ مَقَالَهُ، وَلَوْلَا إِخْبَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 بِسَمَاعِهِمْ لَحَمَلْنَا نَدَاءَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى مَعْنَى التَّوْبِيخِ لِمَنْ بَقِيَ مِنَ الْكُفْرَةِ، وَعَلَى مَعْنَى
 شِفَاءِ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ^(٧).

(١) تفسير البغوي ٤٢٧/٣.

(٢) تفسير الطبري ١١٦/١٨.

(٣) مجمع البيان ٢٤٩/٢٠.

(٤) ٣٢٥ - ٣٢٤/١.

(٥) قراءة ابن كثير ورواية عباس عن أبي عمرو في السبعة ص ٤٨٦، وعن ابن كثير وحده في التيسير ص ١٦٩.

(٦) سلف ٢٧٣/٩.

(٧) المحرر الوجيز ٢٧٠/٤.

قلت: روى البخاري رحمته: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَمِعَ رَوْحَ بْنَ عُبَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ثُمَّ مَشَى وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفِيرِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يَنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنْتُمْ أَطْعَمْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ» قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنِعْمَةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا. خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا^(١). قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا عُمَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلْبِ بَدْرِ فَقَالَ: «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ» فَذَكَرَ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ» ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ حَتَّى قَرَأَتِ الْآيَةَ^(٢). وَقَدْ عُوْرَضَتْ هَذِهِ الْآيَةَ بِقِصَّةِ بَدْرِ وَبِالسَّلَامِ عَلَى الْقُبُورِ، وَبِمَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَكُونُ عَلَى شَفِيرِ الْقُبُورِ فِي أَوْقَاتٍ، وَبِأَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ قَرْعَ النَّعَالِ إِذَا انصَرَفُوا عَنْهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَلَوْ لَمْ يَسْمَعْ الْمَيِّتُ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ^(٣). وَهَذَا وَاضِحٌ وَقَدْ

(١) صحيح البخاري (٣٩٧٦)، وصحيح مسلم (٢٨٧٥). وأخرجه أحمد (١٦٣٥٩).

قال السندي في حاشيته على المسند: «في طَوِيٍّ»: في بئر طَوِيٍّ بالحجارة أو غيرها. «مُخْبِثٍ»: اسم فاعل من أخبث: إذا صاحب الخُبْثَاءَ، أي: كان خبيثاً في ذاته، ثم صار أصحابه خبثاء أيضاً. «الرَّكِيِّ»: البئر. «أَسْرُكُمْ»: أي: أظهر لكم أنكم لو أطعتم كان خيراً. «ما تُكَلِّمُ»: أي: أي كلام تكلم وما فائدته.

(٢) صحيح البخاري (٣٩٨٠ - ٣٩٨١). وأخرجه أحمد (٤٩٥٨)، ومسلم (٩٣٢): (٢٦). ورواية أحمد ليس فيها قراءة الآية.

(٣) المحرر الوجيز ٤ / ٢٧٠.

يَبِّئُهُ فِي كِتَابِ «التَّذْكَرَةِ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ أي: كفرهم، أي: ليس في وَسْعِكَ خلق الإيمان في قلوبهم.

وقرأ حمزة: «وما أنت تهدي العُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» كقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمِّيِّ﴾ [يونس: ٤٣]. الباكون: «بِهَادِي الْعُمِّيِّ» وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم وفي «الروم»^(٢) مثله^(٣). وكلُّهم وقف على «بِهَادِي» بالياء في هذه السورة وبغير ياء في «الروم» اتباعاً للمصحف، إلا يعقوب فإنه وقف فيهما جميعاً بالياء^(٤). وأجاز الفراء وأبو حاتم: «وما أنت بهادي العُمِّيِّ» وهي الأصل. وفي حرف عبد الله: «وما أن تهدي العُمِّيِّ». ﴿إِنْ تُسْمِعُ﴾ أي: ما تسمع^(٥). ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ قال ابن عباس: أي: إلا من خلقته للسعادة فهم مخلصون في التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨١﴾ وَيَوْمَ نَخَشُّهُم مِّن كُلِّ امَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَلِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٤﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلًا لِّلنَّاسِ كُنُوفًا فِيهِ وَالتَّهَارُ مَبْصُرًا لِّك فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ اختلف في معنى وقع القول وفي الدابة، فقيل: معنى «وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ»: وجب الغضب عليهم. قاله قتادة. وقال مجاهد: أي: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون. وقال ابن عمر وأبو

(١) ١٤٤/١ - ١٤٥.

(٢) عند الآية (٥٣).

(٣) السبعة ص ٤٨٦، والتيسير ص ١٦٩.

(٤) النشر ١٣٨/٢ و ١٣٩.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٢٢٠ - ٢٢١.

سعيد الخدري رضي الله عنهما: إذا لم يأْمروا بالمعروف وَيَنْهَوْا عن المنكر وَجَبَ السَّخَطُ عَلَيْهِمْ^(١). وقال عبد الله بن مسعود: وَقَعُ الْقَوْلُ يَكُونُ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ، وَذَهَابِ الْعِلْمِ، وَرَفْعِ الْقُرْآنِ. قال عبدالله: أَكْثَرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ. قالوا: هذه المصاحف تُرْفَعُ فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا فَيُصْبِحُونَ مِنْهُ قَفْرًا، وَيَنْسُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَقْعُونَ فِي قَوْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَشْعَارِهِمْ، وَذَلِكَ حِينَ يَقَعُ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ.

قلتُ: أسنده أبو بكر البزار قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سَلِيمٍ، عَنْ [نَاجِيَةَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه] ^(٢) أَنَّهُ قَالَ: أَكْثَرُوا مِنْ زِيَارَةِ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرْفَعَ وَيَنْسَى النَّاسُ مَكَانَهُ، وَأَكْثَرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرْفَعَ. قالوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَذِهِ الْمَصَاحِفُ تُرْفَعُ فَكَيْفَ بِمَا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ؟ قَالَ: فَيُصْبِحُونَ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ وَنَقُولُ قَوْلًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَحَادِيثِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَذَلِكَ حِينَ يَقَعُ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ^(٣). وقيل: القولُ: هو قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣] ففوقُ القولِ وجوبُ العقابِ على هؤلاء، فإذا صاروا إلى حَدٍّ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ وَلَا يُولَدُ لَهُمْ وَلَدٌ مُؤْمِنٌ فحينئذٍ تقومُ القيامةُ. ذكره القشيري.

وقول سادس: قالت حفصة بنت سيرين: سألتُ أبا العالية عن قول الله تعالى:

(١) النكت والعيون ٢٢٦/٤. وقول ابن عمر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٨٥/٢، والطبري ١٢٠/١٨ و١٢١، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٨٥).

(٢) في جميع النسخ: «ابن لعبد الله بن مسعود عنه عن أبيه» والتصويب من مصادر التخریج.

(٣) أخرجه الدارمي (٣٣٤١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٨٦) من طريق موسى بن عبيدة، به.

وأخرجه البيهقي في الشعب (٢٠٢٦) من طريق موسى بن سعد، عن ناجية، به.

وأخرجه عبد الرزاق (٥٩٨١)، وابن أبي شيبة ٥٣٤/١٠، والطبراني في الكبير (٨٦٩٨ و٨٦٩٩ و٨٧٠٠)، والحاكم ٥٠٤/٤ من طريق شداد بن معقل، عن ابن مسعود بنحوه. وصححه الذهبي في التلخيص.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ فقال: أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] وكأنتما كان على وجهي غطاءً فكُشِفَ. قال النحَّاس: وهذا من حُسن الجواب؛ لأنَّ الناس مُمتَحَنون ومُؤخَّرون؛ لأنَّ فيهم مؤمنين وصالحين، ومَن قد عَلِمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنه سيؤمن ويتوب؛ فلهذا أمهلوا وأميرنا يأخذ الجزية، فإذا زال هذا وجبَ القول عليهم، فصاروا كقوم نوح حين قال الله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ ءَامَنَ﴾^(١).

قلت: وجميعُ الأقوال عند التأملِ ترجع إلى معنى واحد. والدليلُ عليه آخِرُ الآية: «إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ». وقُرئ: «أَنَّ» بفتح الهمزة، وسيأتي. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانها [لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً]»^(٢): طلوعُ الشمس من مغربها، والدجال، ودابَّةُ الأرض» وقد مضى^(٣). واختلِفَ في تعيين هذه الدابة وصفتها ومن أين تخرجُ اختلافاً كثيراً، وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة»^(٤)، ونذكره هنا إن شاء الله تعالى مستوفى. فأولُ الأقوال أنه فصيلُ ناقة صالح وهو أصحُّها - والله أعلم - لما ذكره أبو داود الطيالسي في «مسنده» عن حذيفة قال: ذكرَ رسولُ الله ﷺ الدابة فقال: «لها ثلاث خُرُوجاتٍ من الدهر: فتخرجُ في أقصى البادية، ولا يدخلُ ذكُرها القرية - يعني مكة - ثم تكمنُ زماناً طويلاً، ثم تخرجُ خُرُجَةً أُخرى دون ذلك فيفسو ذكُرها في البادية، ويدخلُ ذكُرها القرية - يعني مكة - قال رسولُ الله ﷺ: «ثمَّ بينما الناسُ في أعظم المساجد على الله حُرمةً خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام، لم يرُعْهُمُ إِلَّا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفضُ عن رأسها التراب،

(١) إعراب القرآن ٣/ ٢٢١ وقول حفصة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٨٣/٢، والطبري ١٨/ ١٢٠، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٩١).

(٢) ما بين حاصرتين من صحيح مسلم، وهو ليس في النسخ.

(٣) صحيح مسلم (١٥٨)، وقد سلف ١٢٨/٩.

(٤) ٦٩٦/٢ - ٧٠٢.

فَارْقَصَ^(١) النَّاسُ مَعَهَا^(٢) شَتَّى وَمَعَاً، وَتَثَبْتُ عَصَابَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوا اللَّهَ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ فَجَلَّتْ وُجُوهُهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَأَنَّهَا الْكُوكَبُ الدَّرِّيُّ، وَوَلَّتْ فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ: يَا فُلَانُ، الْآنَ تُصَلِّي؟ فَتُقْبَلُ عَلَيْهِ فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ، وَيَصْطَلِحُونَ^(٣) فِي الْأَمْصَارِ، يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنْ الْمُؤْمِنُ يَقُولُ: «يَا كَافِرُ اقْضِ حَقِّي»^(٤) وَمَوْضِعُ الدَّلِيلِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ الْفَصِيلُ قَوْلُهُ: «وَهِيَ تَرْغُو» وَالرُّغَاءُ إِنَّمَا هُوَ لِلْإِبِلِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَصِيلَ لَمَّا قَتَلَتِ النَّاقَةَ هَرَبَ، فَانْفَتَحَ لَهُ حَجَرٌ فَدَخَلَ فِي جُوفِهِ، ثُمَّ انْطَبَقَ عَلَيْهِ، فَهُوَ فِيهِ حَتَّى يَخْرُجَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَرُويَ أَنَّهَا دَابَّةٌ مَزْغَبَةٌ شِعْرَاءُ، ذَاتُ قَوَائِمٍ^(٥)، طَوَّلُهَا سِتُونَ ذِرَاعاً^(٦)، وَيُقَالُ: إِنَّمَا الْجَسَاسَةُ. وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو^(٧). وَرُويَ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو

(١) أي: تفرق. النهاية (رفض).

(٢) في النسخ: منها. والمثبت من مسند الطيالسي والمصادر.

(٣) في النسخ: ويصطلحون. والمثبت من مسند الطيالسي والمصادر.

(٤) مسند الطيالسي (١٠٦٩). بإسنادين: الأول: عن جرير بن حازم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن رجل من آل مسعود، عن حذيفة بن أسيد مرفوعاً. في إسناده إبهام الراوي عن حذيفة. والثاني: عن طلحة بن عمرو، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبي الطفيل، عن حذيفة مرفوعاً. طلحة بن عمرو متروك. ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٠ - ٣٤٢. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٩٣) من طريق الطيالسي، بالإسنادين معاً.

وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢٣٤٥)، والطبراني في الكبير (٣٠٣٥)، والحاكم ٤/ ٤٨٤، والبغوي في تفسيره ٣/ ٤٢٨ من طريق طلحة بن عمرو، به.

وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٨٤ والطبري ١٨/ ١٢٢ - ١٢٣ من طريق واصل مولى ابن عيينة، كلاهما عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد موقوفاً، والفاكهي (٢٣٤٤)، والحاكم ٤/ ٤٨٤ من طريق قيس بن سعد، والطبري ١٨/ ١٢٢ - ١٢٣ وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٥) النكت والعيون ٤/ ٢٢٦ عن ابن عباس ؓ، وزاد المسير ٦/ ١٩١ عن مقاتل.

(٦) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٢٠/ ٢٥٠ عن حذيفة بن اليمان ؓ مرفوعاً.

(٧) الكشاف ٣/ ١٥٩.

أنها على خِلقة الأدميين، وهي في السحاب، وقوائمها في الأرض. ورُوي أنها جُمِعت من خلق كل حيوان^(١).

وذكر الماوردي^(٢) والثعلبي: رأسها رأسُ ثور، وعينها عينُ خنزير، وأذنها أذنُ فيل، وقرنها قرنُ أيل، وعنقها عنقُ نعامة، وصدورها صدرُ أسد، ولونها لونُ نمر، وخاصرتها خاصرةُ هَرّ، وذنبها ذنبُ كبش، وقوائمها قوائمُ بعير، بين كلِّ مفصلٍ اثنا عشر ذراعاً - الزمخشري^(٣): بذراع آدم عليه السلام - ويخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان، فتنكتُ في وجه المسلم بعصا موسى نكتةً بيضاءً فيبيضُ وجهه، وتنكتُ في وجه الكافر بخاتم سليمان عليه السلام فيسوّدُ وجهه. قاله أبو الزبير^(٤).

وفي كتاب النقّاش عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنّ الدابةَ الثعبانَ المشرفَ على جدار الكعبة التي اقتلعتُها العقاب حين أرادت قريشُ بناءَ الكعبة^(٥).

وحكى الماوردي^(٦) عن محمد بن كعب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن الدابةِ فقال: أما والله ما لها ذنّبٌ وإنَّ لها لَلحِية. قال الماوردي: وفي هذا القول منه إشارةٌ إلى أنّها من الإنس وإن لم يُصرّح به.

قلت: ولهذا - والله أعلم - قال بعض المتأخرين من المفسرين: إنّ الأقرب أن تكون هذه الدابةُ إنساناً متكلماً يُناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم لينقطعوا، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيٍّ عن بينة. قال شيخنا الإمام أبو العباس أحمد بن عمر

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٠.

(٢) في النكت والعيون ٤/ ٢٢٦، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٩٠، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٩٧).

(٣) في الكشاف ٣/ ١٦٠.

(٤) وهو محمد بن مسلم بن تدرس، وقد وقع في النسخ: ابن الزبير، والتصويب من تفسير ابن أبي حاتم وزاد المسير.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧١.

(٦) في النكت والعيون ٤/ ٢٢٦، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٩٦).

القرطبي في كتاب «المفهم»^(١) له: وإنما كان عند هذا القائل الأقرب لقوله تعالى: ﴿تَكَلَّمْتُمُهَا﴾ وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة آية خاصة خارقة للعادة، ولا يكون من العشر الآيات المذكورة في الحديث؛ لأن وجود المناظرين والمُحتَجِّين على أهل البدع كثير، فلا آية خاصة بها، فلا ينبغي أن تُذكر مع العشر، وترتفع خصوصية وجودها إذا وقع القول، ثم فيه العدول عن تسمية هذا الإنسان المناظر الفاضل العالم الذي على أهل الأرض أن يُسمّوه باسم الإنسان أو بالعالم أو بالإمام إلى أن يُسمّى بدابة، وهذا خروج عن عادة الفُصحاء، وعن تعظيم العلماء، وليس ذلك دأب العقلاء، فالأولى ما قاله أهل التفسير، والله أعلم بحقائق الأمور.

قلت: قد رفع الإشكال في هذه الدابة ما ذكرناه من حديث حذيفة فليُعتَمَدَ عليه. واختلَفَ من أي موضع تخرج، فقال عبد الله بن عمر: تخرج من جبل الصفا بمكة؛ يتصدَّع فتخرج منه^(٢). قال عبد الله بن عمرو نحوه وقال: لو شئتُ أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت^(٣). وروى في خبر عن النبي ﷺ: «إنَّ الأرضَ تنشقُّ عن الدابة وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى، وأنها تخرج من الصفا فتسبُ بين عيني المؤمن هو مؤمن سمة كأنها كوكب دريٌّ، وتسمُ بين عيني الكافر نكتة سوداء كافر» وذكر في الخبر أنها ذات وبرٍ وريش. ذكره المهدي^(٤). وعن ابن عباس أنها تخرج من شغبٍ فتمسُّ رأسها السحابُ ورجلاها في الأرض لم تخرجا^(٥)، وتخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام^(٦).

(١) ٢٤٠/٧ - ٢٤١، وما قبله منه.

(٢) إعراب القرآن ٣/٢٢١، وزاد المسير ٦/١٩١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٧٠، وأخرجه الطبري ١٨/١٢٤.

(٤) وأخرجه الطبري ١٨/١٢٤ - ١٢٥ من حديث حذيفة بن اليمان.

(٥) أخرجه الطبري ١٨/١٢٦ عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٦) أخرجه أحمد (٧٩٣٧)، والترمذي (٣١٨٧)، وابن ماجه (٤٠٦٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً. وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. وأخرجه الطبري ١٨/١٢٦ - ١٢٧ عن عبد الله بن عمرو موقوفاً.

وأخرجه الطبري ١٨/١٢٦ - ١٢٧ عن عبدالله بن عمرو موقوفاً.

وعن حذيفة: تخرجُ ثلاث خرجات: خرجةٌ في بعض البوادي ثم تكمن، وخرجةٌ في القرى يتقاتل فيها الأمراء حتى تكثر الدماء، وخرجةٌ من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها وأفضلها^(١). الزمخشري: تخرج من بين الركنِ حِذاء دارِ بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد؛ فقومٌ يهربون، وقومٌ يقفون نَظَّارة^(٢). ورُوي عن قتادة أنها تخرج في تهامة. ورُوي أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام^(٣). وقيل: من أرض الطائف؛ قال أبو قبيل: ضرب عبد الله بن عمرو أرض الطائف برجله وقال: من هنا تخرجُ الدابةُ التي تُكلم الناس. وقيل: من بعض أودية تهامة. قال ابن عباس. وقيل: من صخرة من شُعب أجياد. قاله عبد الله بن عمرو. وقيل: من بحر سدوم. قاله وهب بن مُنَّبه. ذكر هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة الماوردي في كتابه^(٤). وذكر البغويُّ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا عليُّ بن الجعد، عن فضيل بن مرزوق الرقاشيِّ الأغرّ - وسُئِلَ عنه يحيى بن معين فقال: ثقة - عن عطية العوفي، عن ابن عمر قال: تخرجُ الدابةُ من صدعٍ في الكعبة كَجَرِيِ الفرس ثلاثة أيام لا يخرجُ ثلثها^(٥).

قلت: فهذه أقوال الصحابة والتابعين في خروج الدابةِ وصفيتها، وهي تردُّ قول مَنْ قال من المفسرين: إنَّ الدابةَ إنما هي إنسانٌ متكلمٌ يناظر أهل البدع والكفر. وقد روى أبو أمامة أنَّ النبي ﷺ قال: «تخرجُ الدابةُ فتَسِمُ الناسَ على خراطيمهم» ذكره الماوردي^(٦). «تُكَلِّمُهُمْ» بضمِّ التاء وشدِّ اللام المكسورة - من الكلام - قراءةُ العامة،

(١) أخرجه الطبري ١٢٣/١٨ وغيره، وقد سلف تخريجه قريباً.

(٢) الكشف ١٦٠/٣.

(٣) المحرر الوجيز ٢٧٠/٤، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٢٦/١٨.

(٤) النكت والعيون ٢٢٧/٤.

(٥) أخرجه علي بن الجعد في مسنده (٢٠٩١)، والطبري ١٢١/١٨ - ١٢٢، وابن أبي حاتم في تفسيره

(١٦٦٠١)، والبغوي في تفسيره ٤٣٠/٣. وفي إسناده عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف. ميزان

الاعتدال ٧٩/٣ - ٨٠.

(٦) في النكت والعيون ٢٢٧/٤. وأخرجه أحمد (٢٢٣٠٨).

يدلُّ عليه قراءة أبي: «تُنَبِّئُهُمْ»^(١) وقال السُّدِّي: تُكَلِّمُهُمْ ببطلان الأديان سوى دين الإسلام^(٢). وقيل: تُكَلِّمُهُمْ بما يسوءهم^(٣). وقيل: تُكَلِّمُهُمْ بلسانِ ذَلِيقٍ فتقول بصوتٍ يسمعه مَنْ قُرْبٍ وَيَعُدُّ: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: بخروحي؛ لأنَّ خروجها من الآيات. وتقول: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ^(٤).

وقرأ أبو زُرْعَةَ وابن عباس والحسن وأبو رجاء: «تُكَلِّمُهُمْ» بفتح التاء^(٥) من الكَلْمِ وهو الجرح؛ قال عكرمة: أي: تَسْمُهُمْ. وقال أبو الجوزاء: سألتُ ابن عباس عن هذه الآية «تُكَلِّمُهُمْ» أو «تُكَلِّمُهُمْ»؟ فقال: هي والله تُكَلِّمُهُمْ وتُكَلِّمُهُمْ؛ تُكَلِّمُ الْمُؤْمِنَ وتُكَلِّمُ الْكَافِرَ وَالْفَاجِرَ أَي: تجرحه. وقال أبو حاتم: «تُكَلِّمُهُمْ» كما تقول: تُجَرِّحُهُمْ؛ يذهب إلى أنه تكثيرٌ من «تُكَلِّمُهُمْ». ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ وقرأ الكوفيون وابن أبي إسحاق ويحيى: «أن» بالفتح^(٦). وقرأ أهل الحرمين وأهل الشام وأهل البصرة: «إن» بكسر الهمزة^(٧). قال النَّحَّاسُ^(٨): في المفتوحة قولان وكذا المكسورة؛ قال الأَخْفَشُ^(٩): المعنى بأن. وكذا قرأ ابن مسعود «بأن»^(١٠). وقال أبو عبيد^(١١):

(١) المحتسب ١٤٥/٢ ، وهي قراءة شاذة.

(٢) تفسير البغوي ٤٢٨/٣ ، وزاد المسير ١٩٣/٦ .

(٣) مجمع البيان ٢٥١/٢٠ .

(٤) الكشاف ١٦٠/٣ .

(٥) في إعراب القرآن ٣/٢٢١ - ٢٢٢ عن أبي زرعة وابن عباس وعاصم الجحدري وعكرمة وطلحة. وفي المحتسب ١٤٤/٢ عن أبي زرعة وابن عباس وعاصم الجحدري ومجاهد وسعيد بن جبير. وفي الشاذة ص ١١٠ عن أبي زرعة وابن عباس ومجاهد. وفي تفسير البغوي عن أبي رجاء ومجاهد وسعيد بن جبير.

(٦) قراءة الكوفيين - وهم عاصم وحزمة والكسائي - في السبعة ص ٤٨٧ ، والتيسير ص ١٦٩ .

(٧) هي قراءة نافع وابن عامر وأبي عمرو البصري، وهي في السبعة ص ٤٨٧ ، والتيسير ص ١٦٩ .

(٨) في إعراب القرآن ٣/٢٢٢ ، وما قبله منه.

(٩) في معاني القرآن له ٦٥١/٢ .

(١٠) المحتسب ١٤٥/٢ ، والشاذة ص ١١٠ ، وزاد المسير ١٩٣/٦ ونسبها أيضاً إلى أبي عمران الجوني.

(١١) في (د) و(م): أبو عبيدة. والمثبت من (ز) و(ظ) وإعراب القرآن.

موضعها نصبٌ بوقوع الفعل عليها، أي: تُخبرهم أن الناس. وقرأ الكسائي والقراء: «إِنَّ النَّاسَ» بالكسر على الاستئناف. وقال الأخفش: هي بمعنى تقول: إن الناس؛ يعني الكفار.

﴿بِأَيِّتِنَا لَا يُؤْفِقُونَ﴾ يعني: بالقرآن وبمحمد ﷺ، وذلك حين لا يقبل الله من كافرٍ إيماناً ولم يبقَ إلا مؤمنون وكافرون في علم الله قبل خروجها، والله أعلم.
قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ أي: زمرةً وجماعةً^(١). ﴿مَنْ يَكْذِبْ بِآيَاتِنَا﴾ يعني: بالقرآن وبأعلامنا الدالة على الحق.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدفعون ويُساقون إلى موضع الحساب؛ قال الشماخ:
وَكَمْ وَزَعْنَا مِنْ خَمِيسٍ جَحْفَلٍ وَكَمْ حَبَوْنَا مِنْ رَيْسٍ مِسْحَلٍ^(٢)
وقال قتادة: «يُوزَعُونَ» أي: يُردُّ أولهم على آخرهم^(٣).

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ﴾ أي: قال الله: ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ التي أنزلتها على رسلي، وبالآيات التي أقمتموها دلالةً على توحيدِي. ﴿وَلَوْ نُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ أي: ببطلانها حتى تعرضوا عنها، بل كذبتهم جاهلين غير مُستدلين. ﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَمْلُونَ﴾ تفرغ وتوبيخ، أي: ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تفكروا ما فيها؟

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: وجب العذاب عليهم بظلمهم. أي: بشركهم ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: ليس لهم عذرٌ ولا حجةٌ. وقيل: يختم على أفواههم فلا ينطقون. قاله أكثر المفسرين^(٤).

(١) زاد المسير ١٩٤/٦.

(٢) ملحق ديوان الشماخ ص ٤٥٣. الخميس الجحفل: الجيش الكثير. والمِسْحَل: الشجاع. اللسان (خمس) و(جحفل) و(سحل).

(٣) النكت والعيون ٢٢٨/٤، وما قبله منه.

(٤) تفسير البغوي ٤٣١/٣ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِئِلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي: يستقرون فينامون. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: يُبصر فيه لسعي الرزق^(١). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله، ذَكَرَ الدَّلَالَةَ عَلَى إلهيته وقدرته، أي: ألم يعلموا كمالَ قُدْرَتِنَا فيؤمنوا؟.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِيرِينَ ﴿٨٧﴾ وَرَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَلَبَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: واذكُرْ يومَ، أو: ذكُرْهم يومَ ينفخ في الصور. ومذهبُ الفراء أنَّ المعنى: وذلكم يومَ ينفخ في الصور، وأجاز فيه الحذف^(٢). والصحيح في الصور أنه قرنٌ من نورٍ ينفخ فيه إسرافيل. قال مجاهد: كهيئة البوق. وقيل: هو البوق بلغة أهل اليمن^(٣). وقد مضى في «الأنعام»^(٤) بيانه وما للعلماء في ذلك. ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا فَرَعَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ خَلَقَ الصُّورَ فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ، شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَى الْعَرْشِ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤَمَّرُ بِالنَّفْحَةِ» قلت: يا رسولَ الله، ما الصُّور؟ قال: «قَرْنٌ وَاللَّهُ عَظِيمٌ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ عِظَمَ دَارِهِ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفْحَاتٍ: النَّفْحَةُ الْأُولَى نَفْحَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْحَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّلَاثَةُ نَفْحَةُ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» وذكر الحديث. ذكره

(١) الوسيط ٣/٣٨٦، وزاد المسير ٦/١٩٤.

(٢) إعراب القرآن ٣/٢٢٢.

(٣) تفسير البغوي ٢/١٠٧، وزاد المسير ٣/٦٨.

(٤) ٤٣١/٨ - ٤٣٢.

علي بن معبد^(١) والطبري والثعلبي وغيرهم^(٢)، وصححه ابن العربي! وقد ذكرته في كتاب «التذكرة»^(٣) وتكلمنا عليه هناك، وأن الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفرع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصّعق؛ لأنّ الأمرين لازمان لهما، أي: فزعوا فزعاً ماتوا منه، أو: إلى نفخة البعث. وهو اختيار القشيري وغيره؛ فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية، أي: يحيون فزعين يقولون: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢] ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويُفزعهم، وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في أرض الجزاء. قاله قتادة^(٤). وقال الماوردي^(٥): ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: هو يوم النشور من القبور؛ قال: وفي هذا الفرع قولان: أحدهما أنه الإسراع والإجابة إلى النداء من قولهم: فزعتُ إليك في كذا إذا أسرعْتَ إلى نداءك في معونتك. والقول الثاني: إنّ الفرع هنا هو الفرع المعهود من الخوف والحزن؛ لأنهم أزعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا. وهذا أشبه القولين.

قلتُ: والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو تدلُّ على

(١) هو علي بن معبد بن نوح البغدادي ثم المصري، إمام حافظ، توفي سنة ٢٥٩ هـ. السير ٦٣٢/١٠ - ٦٣٤.

(٢) تفسير الطبري ١٣٤/١٨ من طريق إسماعيل بن رافع المدني، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة مرفوعاً. إسماعيل بن رافع ضعيف الحفظ كما قال الحافظ في التقریب. قلنا: وقد اختلف عليه في إسناده اختلافاً كبيراً؛ قال الحافظ في الفتح ٣٦٨/١١: مدار إسناده على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، فرواه عن محمد بن كعب القرظي تارةً بلا واسطة، وتارةً بواسطة رجل مبهم ومحمد عن أبي هريرة، وتارةً بلا واسطة، وتارةً بواسطة رجل من الأنصار مبهم أيضاً. وينظر مصادر تخريجه في تفسير الطبري ٦١٣/٣.

(٣) ١٧٣/١.

(٤) عبارة: «قاله قتادة» من (م)، وهي ليست في باقي النسخ.

(٥) في النكت والعيون ٢٢٩/٤.

أنهما نفختان لا ثلاث: خرَّجهما مسلم^(١)، وقد ذكرناهما في كتاب «التذكرة»^(٢) وهو الصحيح إن شاء الله تعالى أنهما نفختان؛ قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَوَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع، فدلَّ على أنهما واحدة. وقد روى المبارك^(٣) عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً؛ الْأُولَى يُمِيتُ اللَّهُ بِهَا كُلَّ حَيٍّ، وَالْأُخْرَى يُحْيِي اللَّهُ بِهَا كُلَّ مَيِّتٍ»^(٤) فإن قيل: فإن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ . تَتَّبِعُنَّهَا رِجْدَةٌ﴾ إلى أن قال: ﴿فَأَلْمَأَمَةُ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ﴾ [النازعات: ٦-١٣] وهذا يقتضي بظاهره أنها ثلاث. قيل له: ليس كذلك، وإنما المراد بالزجرة النفخة الثانية التي يكون عنها خروج الخلق من قبورهم. كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهم.

قال مجاهد: هما صيحتان؛ أما الأولى فتميتُ كلَّ شيءٍ بإذن الله، وأما الأخرى فتُحيي كلَّ شيءٍ بإذن الله. وقال عطاء: «الرَّاجِفَةُ»: القيامة، و«الرَادِفَةُ»: البعث^(٥). وقال ابن زيد: «الراجفة»: الموت، و«الرادفة»: الساعة. والله أعلم^(٦).

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ثم اختلفَ في هذا المُسْتَثْنَى مَنْ هُمْ؛ ففي حديث أبي هريرة أَنَّهُمُ الشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ، إِنَّمَا يَصِلُ الْفَزْعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ. وهو قول سعيد بن

(١) في صحيحه (٢٣٧٣) و(٢٩٤٠)، وهما في مسند أحمد (٩٨٢١) و(٩٥٥٥).

(٢) ص ١٦٥-١٦٧.

(٣) في جميع النسخ: ابن المبارك، وهو خطأ قديم في النسخ. والتصويب من السنن الواردة في الفتن.

(٤) أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٧٢١) من طريق المبارك - وهو ابن فضالة - عن الحسن البصري، به. وإسناده مرسل. لكن أخرج البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. ثم يُنزلُ الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل.

(٥) تفسير البغوي ٤/٤٤٢ و٤٤٣.

(٦) المحرر الوجيز ٥/٤٣١.

جُبِير أَنَّهُم الشَّهَدَاءُ مُتَقَلِّدُونَ السِّيَوفَ حَوْلَ الْعَرْشِ^(١). وقال القشيري: الأنبياء داخلون في جملتهم؛ لأنَّ لهم الشهادة مع النبوة. وقيل: الملائكة. قال الحسن: استثنى طوائف من الملائكة يموتون بين النفختين. قال مقاتل: يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت^(٢). وقيل: الحور العين^(٣). وقيل: هم المؤمنون؛ لأنَّ الله تعالى قال عُقَيْبٌ هَذَا: ﴿مَنْ جَاءَهُ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِثُونَ﴾. وقال بعض علمائنا: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبرٌ صحيحٌ والكلُّ مُحْتَمِلٌ.

قلت: خفي عليه حديثُ أبي هريرة وقد صحَّحه القاضي أبو بكر بن العربي فليُعوَّلَ عليه؛ لأنَّه نصٌّ في التعيين، وغيره اجتهاد. والله أعلم. وقيل غيرُ هذا على ما يأتي في «الزُّمَرِ»^(٤).

وقوله: ﴿فَفَزَعِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ماضٍ، و«يُنْفَخُ» مستقبلٌ، فيقال: كيف عطف ماضٍ على مستقبل؟ فزعم الفراء أنَّ هذا محمولٌ على المعنى؛ لأنَّ المعنى: إذا نفخ في الصور ففزع. «إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» نصبٌ على الاستثناء. «وَكُلُّ أُنُوفٍ دَخِرِينَ» قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي ونافع وابن عامر وابن كثير: «أُنُوفٌ» جعلوه فعلاً مستقبلاً. وقرأ الأعمش ويحيى وحمزة وحفص عن عاصم: «وَكُلُّ أُنُوفٍ» مقصوراً على الفعل الماضي^(٥)، وكذلك قراءة ابن مسعود^(٦). وعن قتادة: «وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرِينَ»^(٧). قال النحاس^(٨): وفي كتابي عن أبي إسحاق في القراءات: [من قرأ]^(٩): «وَكُلُّ أُنُوفٍ»

(١) تفسير البغوي ٤٣١/٣ .

(٢) قول مقاتل في الوسيط ٣٨٦/٣ ، وتفسير البغوي ٤٣١/٣ ، وزاد المسير ١٩٥/٦ .

(٣) زاد المسير ١٩٥/٦ .

(٤) عند تفسير الآية (٦٨) .

(٥) السبعة ص ٤٨٧ ، والتيسير ص ١٦٩ دون قراءة الأعمش ويحيى .

(٦) المحرر الوجيز ٣٧٢/٤ .

(٧) المحتسب ١٤٥/٢ ، والشاذة ص ١١١ .

(٨) في إعراب القرآن ٣/٢٢٢ - ٢٢٣ ، وما قبله منه سوى قراءة ابن مسعود وقاتادة .

(٩) ما بين حاصرتين من إعراب القرآن، وهو ليس في النسخ.

وَحَدَّه عَلَى لَفْظِ «كُلٌّ»، وَمِنْ قَرَأَ: «أَتَوْهُ» جَمَعَ عَلَى مَعْنَاهَا، وَهَذَا الْقَوْلُ غَلَطٌ قَبِيحٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ: «وَكُلُّ أَتَوْهُ» فَلَمْ يُوَحِّدْ وَإِنَّمَا جَمَعَ، وَلَوْ وَحَّدَ لَقَالَ: «أَتَاهُ» وَلَكِنْ مِنْ قَالَ: «أَتَوْهُ» جَمَعَ عَلَى الْمَعْنَى وَجَاءَ بِهِ مَاضِيًا، لِأَنَّهُ رَدَّهُ إِلَى «فَفَزَعٌ»، وَمِنْ قَرَأَ: «وَكُلُّ أَتَوْهُ» حَمَلَهُ عَلَى الْمَعْنَى أَيْضًا وَقَالَ: «أَتَوْهُ» لِأَنَّهَا جُمْلَةٌ مَنْقُوعَةٌ مِنَ الْأَوَّلِ.

قال ابن نصر: قد حكى عن أبي إسحاق رحمه الله ما لم يقله، ونصُّ أبي إسحاق: «وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ» ويقرأ: «أَتَوْهُ» فمن وحد فللفظ «كُلٌّ» ومن جمع فلمعناه؛ يريد ما أتى في القرآن أو غيره من توحيد خبر «كُلٌّ» فعلى اللفظ، أو جمع فعلى المعنى؛ فلم يأخذ أبو جعفر هذا المعنى. قال المهدوي: ومن قرأ: «وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ» فهو فعلٌ من الإتيان وحمل على معنى «كل» دون لفظها، ومن قرأ: «وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ» فهو اسم الفاعل من أتى، يدلُّك على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]. ومن قرأ: «وَكُلُّ أَتَاهُ» حملَه على لفظ «كُلٌّ» دون معناها وحمل «دَاخِرِينَ» على المعنى، ومعناه: صاغرين. عن ابن عباس وقتادة. وقد مضى في «النحل»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمُرٌّ مَرَّ السَّعَابِ﴾ قال ابن عباس: أي: قائمة وهي تسير سيراً حثيثاً^(٢). قال القُتبي^(٣): وذلك أن الجبال تُجَمَعُ وتُسَيَّرُ، فهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير، وكذلك كلُّ شيءٍ عظيمٍ وجمَعٍ كثيرٍ يَقْصُرُ عنه النظر؛ لكثرتِه وبعْدِ ما بين أطرافه، وهو في حُسبانِ النَّاطِرِ كالواقف وهو يسير. قال النابغة في وصف جيش:

بِأَرْعَنَ مِثْلَ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ وَقُوفٌ بِحَاجِ الرُّكَّابِ تُهْمَلِجُ^(٤)

(١) ٣٣٤/١٢

(٢) مجمع البيان ٢٠/٢٥٦ .

(٣) في تأويل مشكل القرآن ص ٤ - ٥ .

(٤) ديوان النابغة الجعدي ص ١٨٧ . الجيش الأرعن: المضطرب لكثرتِه. وتهملج من الهملجة: وهو حسن سير الدابة في سرعة. اللسان (رعن) وهملج.

قال القُشَيْرِيُّ: وهذا يوم القيامة، أي: هي لكثرتها كأنها جامدة، أي: واقفة في مرأى العين وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب، والسحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير، أي: تمرُّ مرَّ السحاب حتى لا يبقى منها شيء، فقال الله تعالى: ﴿وَسَيَرَّتْ لِبَالًا فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٠]. ويُقال: إنَّ الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفرغ الأرض منها، وإبراز ما كانت تواريه، فأول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة، ثم تصير كالعين المنفوش، وذلك إذا صارت السماء كالمُهْل، وقد جمع الله بينهما فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ لِبَالًا كَالْعَيْنِ﴾ [المعارج: ٨-٩]. والحالة الثالثة أن تصير كالهباء، وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعين. والحالة الرابعة أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارَّة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز، فإذا نسفت فبإرسال الرياح عليها. والحالة الخامسة أن الرياح ترفعها على وجه الأرض فتظهرها شعاعاً في الهواء كأنها غبار، فمن نظر إليها من بُعد حسبها لتكائفها أجساداً جامدة، وهي بالحقيقة مازة إلا أن مرورها من وراء الرياح كأنها مُندكَّة مُنتفِئة. والحالة السادسة أن تكون سراباً، فمن نظر إلى مواضعها لم يجذ فيها شيئاً منها كالسراب. قال مقاتل: تقع على الأرض فتسوى بها. ثم قيل: هذا مثل. قال الماوردي^(١): وفيما^(٢) ضرب له ثلاثة أقوال: أحدها أنه مثل ضربه الله تعالى للدينا، يظن الناظر إليها أنها واقفة كالجبال، وهي آخذة بحظها من الزوال كالحساب. قاله سهل بن عبد الله. الثاني: أنه مثل ضربه الله للإيمان تحسبه ثابتاً في القلب وعمله صاعد إلى السماء. الثالث: أنه مثل ضربه الله للنفس عند خروج الروح والروح تسير إلى العرش.

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: هذا من فعل الله، و[ما]^(٣) هو فعل منه فهو

(١) في النكت والعيون ٤/ ٢٣٠.

(٢) في (م): وفيهما.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيه الكلام.

متقن^(١). و«تَرَى» من رؤية العين، ولو كانت من رؤية القلب لتعدت إلى مفعولين. والأصلُ تَرَأَى، فألقيت حركة الهمزة على الراء فتحركت الراء وحذفت الهمزة، وهذا سبيل تخفيف الهمزة إذا كان قبلها ساكن، إلا أن التخفيف لازمٌ لِتَرَى. وأهل الكوفة يقرؤون: «تَحَسَّبُهَا» بفتح السين وهو القياس؛ لأنه من حَسِبَ يَحْسَبُ إلا أنه قد روي عن النبي ﷺ خلافها أنه قرأ بالكسر في المستقبل، فتكون على فِعْلٍ يَفْعَلُ مثل نَعِمَ يَنْعِمُ وَبَيْسَ يَبْيِئُ، وحكي: يَيْسُ يَبْيِئُ من السالم، لا يُعْرَفُ في كلام العرب غير هذه الأحرف. «وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» تقديره: مرّاً مثل مرّ السحاب، فأقيمت الصفة مقام الموصوف، والمضاف مقام المضاف إليه؛ فالجبال تزل من أماكنها من على وجه الأرض، وتُجْمَع وتُسَيَّر كما تُسَيَّر السحاب، ثم تُكسَّر فتعود إلى الأرض كما قال: ﴿وَسَّتِ الْجِبَالَ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥]. ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ عند الخليل وسيبويه منصوبٌ على أنه مصدر؛ لأنه لما قال عز وجل: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ دل على أنه قد صنع ذلك صنعاً. ويجوز النصب على الإغراء، أي: انظروا صنْعَ الله^(٢) فيوقف على هذا «السَّحَابِ» ولا يوقف عليه على التقدير الأول. ويجوز رفعه على تقدير: ذلك صنع الله^(٣). ﴿الَّذِي أَنْفَعَنَا كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أحكمه، ومنه قول النبي ﷺ: «رحم الله من عمل عملاً فاتقته»^(٤). وقال قتادة: معناه: أحسن كل شيء^(٥). والإتقان: الإحكام؛ يُقال: رجلٌ يقنُّ أي: حاذقٌ بالأشياء. وقال الأزهري^(٦): أصله من ابن يقن، وهو رجلٌ من

(١) النكت والعيون ٢٣١/٤ بنحوه.

(٢) إعراب القرآن ٢٢٣/٣ - ٢٢٤ دون قوله: فالجبال تزال... إلى قوله: «وسست الجبال بساً».

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٣٠/٤.

(٤) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه أبو يعلى (٤٣٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٨/٤: فيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة.

(٥) مجمع البيان ٢٥٧/٢٠.

(٦) تحرف في النسخ إلى: الزهري، وكلام الأزهري الآتي في تهذيب اللغة ٦٠/٩ - ٦١، وما قبله منه أيضاً.

عاد لم يكن يسقط له سهمٌ فضرب به المثل؛ يُقال: أَرَمَى من ابن يقن، ثم يُقال لكل حاذق بالأشياء: يقن.

﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) بالتاء على الخطاب قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالياء^(٢).

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: الحسنه: لا إله إلا الله^(٣). وقال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ولا يستثني أن الحسنه لا إله إلا الله محمد رسول الله^(٤). وقال علي بن الحسين بن علي: غزا رجل، فكان إذا خلا بمكان قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فبينما هو في أرض الروم في أرض جلفاء وبردى رفع صوته فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فخرج عليه رجل على فرس عليه ثياب بيض، فقال له: والذي نفسي بيده إنها الكلمة التي قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾^(٥). وروى أبو ذر قال: قلت: يا رسول الله أوصني. قال: «أتق الله، وإذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها» قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «من أفضل الحسنات» وفي رواية: قال: «نعم، هي أحسن الحسنات» ذكره البيهقي^(٦). وقال قتادة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ بالإخلاص والتوحيد^(٧). وقيل: أداء الفرائض كلها^(٨).

(١) بعدها في (م) زيادة عبارة: والباقون تفعلون.

(٢) السبعة ص ٤٨٧، والتيسير ص ١٦٩.

(٣) أخرجه الطبري ١٨/١٤٠ عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٤٤) عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه الطبري ١٨/١٤١، وذكره البغوي ٣/٤٣٢.

(٥) أخرجه الطبري ١٨/١٤١ - ١٤٢.

(٦) في الأسماء والصفات (٢٠٢). وأخرجه أحمد (٢١٤٨٧).

(٧) تفسير البغوي ٣/٤٣٢، ومجمع البيان ٢٠/٢٥٧.

(٨) النكت والعيون ٤/٢٣١.

قلت: إذا أتى بلا إله إلا الله على حقيقتها وما يجب لها - على ما تقدّم بيانه في سورة إبراهيم^(١) - فقد أتى بالتوحيد والإخلاص والفرائض. ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قال ابن عباس: أي: وصل إليه الخير منها^(٢). وقاله مجاهد. وقيل: فله الجزاء الجميل وهو الجنة. وليس «خير» للتفضيل^(٣). قال عكرمة وابن جريج: أمّا أن يكون له خيرٌ منها يعني من الإيمان فلا؛ فإنه ليس شيءٌ خيراً ممن قال: لا إله إلا الله، ولكن له منها خير. وقيل: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ للتفضيل، أي: ثواب الله خيرٌ من عمل العبد وقوله وذِكْرِهِ، وكذلك رضوان الله خيرٌ للعبد من فعل العبد. قاله ابن عباس. وقيل: يرجع هذا إلى الإضعاف، فإنَّ الله تعالى يُعْطِيهِ بالواحدة عشراً، وبالإيمان في مدّة يسيرة الثواب الأبدي. قاله محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد^(٤). ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ قرأ عاصم والكسائي «من فرع يومئذ» بالتنوين وفتح الميم. نافع بفتح الميم من غير تنوين. الباقون: «من^(٥) فرع يومئذ» بالإضافة^(٦) قال أبو عبيد: وهذا أعجب إليّ؛ لأنه أعمُّ التأويلين أن يكون الأمن من جميع فرع ذلك اليوم، وإذا قال: «مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ» صار كأنه فرعٌ دون فرعٍ دون فرع. قال القشيري: وقُرئ: «مِنْ فِرْعَ» بالتنوين، ثم قيل: يعني به فرعاً واحداً، كما قال: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفِرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقيل: عن الكثرة؛ لأنه مصدرٌ، والمصدر صالحٌ للكثرة.

قلت: فعلى هذا تكون القراءتان بمعنى. قال المهدوي: ومن قرأ: «مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ» بالتنوين انتصب «يَوْمَئِذٍ» بالمصدر الذي هو «فِرْعَ»^(٧). ويجوز أن يكون صفةً

(١) ١٣٢/١٢.

(٢) تفسير البغوي ٤٣٢/٣.

(٣) تفسير أبي الليث ٥٠٦/٢.

(٤) مجمع البيان ٢٥٧/٢٠ بنحوه.

(٥) ما بعد قوله: والكسائي... إلى هذا الموضع من (ظ)، وهو ليس في بقية النسخ.

(٦) السبعة ص ٤٨٧، والتيسير ص ١٧٠.

(٧) وقاله ابن الأنباري في البيان ٢٢٨/٢.

لفزع ويكون متعلقاً بمحذوف؛ لأنَّ المصادرَ يُخْبَرُ عنها بأسماء الزمان وتوصفُ بها، ويجوز أن يتعلَّقَ باسم الفاعل الذي هو «أَمْنُونَ». والإضافة على الاتساع في الظروف. ومن حذف التنوينَ وفتح الميمَ بناه؛ لأنَّه ظرفُ زمان، وليس الإعراب في ظرف الزمان متمكناً، فلَمَّا أُضيفَ إلى غير متمكِّنٍ ولا مُعرَّبِ بنى. وأنشد سيبويه^(١):

على حينَ ألهى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَنَدَلًا زُرَيْقُ المَالِ نَدَلُ الشَّعَالِبِ^(٢)
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: بالشرك. قاله ابن عباس والنخعي وأبو هريرة ومجاهد وقيس بن سعد والحسن، وهو إجماعٌ من أهل التأويل في أنَّ الحسنَةَ لا إله إلا الله، وأن السيئةَ الشرك في هذه الآية^(٣). ﴿فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي التَّارِ﴾ قال ابن عباس: ألقيت. وقال الضحاك: طُرِحت؛ يقال: كبيتُ الإناءَ أي: قلبته على وجهه، واللازمُ منه أكَبَّ، وقلماً يأتي هذا في كلام العرب. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ أي: يقال لهم: هل تُجزون. ثم يجوز أن يكون من قول الله، ويجوز أن يكون من قول الملائكة. ﴿إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إلا جزاء أعمالكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبِّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ لِحَمْدِ اللَّهِ سَبِّحُكُمْ أَيَّنِيهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبِّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا﴾ يعني مكة التي عظمَ الله حرمتها، أي: جعلها حرماً آمناً، لا يُسْفَكُ فيها دم، ولا يُظلمُ فيها أحد، ولا يُصَادُ فيها صيد، ولا يُعْصَدُ فيها شجر^(٤)، على ما تقدَّم بيانه في غير موضع. وقرأ

(١) في الكتاب ١١٦/١.

(٢) من قوله: ويجوز أن يتعلَّقَ... إلى هذا الموضع في إعراب القرآن ٣/٢٢٥ بنحوه. والبيت قائله أعشى همدان كما في الكامل ١/٢٣٩. والمراد بالتدل السرعة، وزريق اسم قبيلة. اللسان (تدل).

(٣) تفسير الطبري ١٨/١٤٠ - ١٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٩/٢٩٣٥.

(٤) تفسير البغوي ٣/٤٣٣.

ابن عباس: «الَّتِي حَرَّمَهَا» نعتاً للبلدة^(١). وقراءة الجماعة: «الَّذِي» وهو في موضع نصبٍ نعتٍ لـ «رب»، ولو كان بالألف واللام لُقِلَتْ: المحرَّمها؛ فإن كانت نعتاً للبلدة لُقِلَتْ: المحرَّمها هو؛ لا بُدَّ من إظهار المُضَمَّرِ مع الألف واللام؛ لأنَّ الفعلَ جرى على غير مَنْ هو له، فإن قُلْتَ: الذي حَرَّمها لم تحتج أن تقول: هو^(٢). ﴿وَلَمْ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقًا وَمَلَكًا﴾^(٣). ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من المنقادين لأمره، الموحِّدين له.

﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ أي: وأمرتُ أن أتلو القرآن، أي: أقرأه. ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ فله ثواب هدايته. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ فليس عليَّ إلا البلاغ؛ نسختها آية القتال^(٤). قال النحاس^(٥). «وَأَنْ أَتْلُوا» نصب بأن. قال الفراء: وفي إحدى القراءتين «وَأَنْ أَتْلُ»^(٦) وزعم أنه في موضع جزمٍ بالأمر، فلذلك حذف منه الواو، قال النحاس: ولا نعرف أحداً قرأ هذه القراءة، وهي مخالفةٌ لجميع المصاحف.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على نعمه وعلى ما هدانا. ﴿سُبُّرِكُمْ مَا يَلِيهِ﴾ أي: في أنفسكم وفي غيركم كما قال: ﴿سَبُّرِبَهُمْ مَا يَلِيْنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٧) [فصلت: ٥٣]. ﴿فَتَعَرَّفُونَهَا﴾ أي: دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسكم وفي السماوات وفي الأرض؛ نظيره قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ أهل المدينة وأهل الشام وحفص

(١) المحرر الوجيز ٢٧٤/٤ عن ابن عباس وابن مسعود، وفي الشاذة ص ١١١ عن ابن مسعود، وفي زاد المسير ١٩٨/٦ عن ابن مسعود وأبي عمران الجوني.

(٢) إعراب القرآن ٣/٢٢٥.

(٣) تفسير البغوي ٣/٤٣٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في إعراب القرآن ٣/٢٢٥.

(٦) وهي في الشاذة ص ١١١ عن ابن مسعود وأبي

(٧) تفسير البغوي ٣/٤٣٣.

عن عاصم بالتاء على الخطاب^(١)؛ لقوله: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فيكون الكلام على نسق واحد. الباقون بالياء على أن يُرَدَّ إلى ما قبله ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ فأخبر عن تلك الآية^(٢).

كملت السورة والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) السبعة ص ٤٨٨، والتيسير ص ١٢٦.

(٢) إعراب القرآن ٣/ ٢٢٦.